

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥١

٢٧ رمضان سنة ١٣٧٠

ذيل ثانٍ

للألفاظ السريانية في المعاجم العربية

اننا بعد تتبع وطلب في عدة مصنفات أحرزناها حديثاً ، أوردنا هذا الذيل الثاني مشتملاً على اضافات وتصويبات وتعاليق ، وسبع وسبعين لفظة جديدة . فالعمول في أصل الألفاظ المبحوث فيها ، على الفهرس الخاص الذي علقناه على رسالتنا هذه التي امتد بنا نفس البحث فيها تعليقاً وتحقيقاً حتى أمست كتاباً .

حرف الألف

اضافة الى ابل : حِداد : قال ميخائيل هونتورا في كتابه « بيان النسبة بين اللغات الهندية الأوروبية واللغات السامية المطبوع عام ١٩٣٣ في صفحة ٢٠٩ : « وهي بالآثورية Ublu وبالعبزية Ebel » فهي بهذا المعنى مما توافقت فيه هاتان اللغتان والآرامية والعربية » .

آ بنوس : قال المعلم بطرس البستاني في محيط المحيط ص ٦ « الآبَنُوس والآبَنُوس

شجر معظم كالجوز ، له ثمر كالعنب وأوراقه كأوراق الصنوبر ، وخشبه شديد الصلابة أسود والهندي منه يوجد فيه بياض » وقال الشرتوني في معجمه ص ٣ « الآبنوس وفي لغة الآبنوس شجر مثمر معظم كالجوز وأوراقه كأوراق الصنوبر ، معرب واسمه العربي سأسم » وقال الأمير الشهابي ص ٢٣٢ « آبنوس Ebénier شجر من فصيلة الآبنوسيات له خشب صلب أسود مشهور » وقال العلامة الدائع صيته مار غريغوريوس ابن العبري في « منتخب الغافقي في الأدبية المفردة المطبوع في مصر سنة ١٩٢٢ ص ١٦ و ١٧ « ابنوس أقوى ما يكون الحبشي وهو أسود وليس فيه طبقات يشبه في ملامسته قرناً محكوكاً وكان كسره كثيفاً ٠٠٠ وفي الهند صنف منه فيه عروق لونها أبيض باقوتي » ١٠٠ وعلق عليه ناشر الكتاب الدكتوران ماكس مايرهوف وجورجي صبحي في الترجمة الانكليزية بقولها ص ٧٤ « ان الكلمة تظن من اللغة المصرية القديمة Hbn وهي اسم الشجرة والخشب » عن : المصري القديم تأليف Loret ، وهي باليونانية Ébénos وباللاتينية Hébénus وباللغات الشرقية آبنوس الخ » ٠ وعلّق المطران يعقوب أرجين منّا في المروج الزهية السرياني ج ٢ ص ٣٦٩ على هذه اللفظة بقوله : « ابنوس ، نوع من خشب مُصنّت صلد كالحجر ولهذا سمي بالسريانية (ابنوسو : Abnouço) تصغير (ابنو Abno) وتفسير الكلمة ، حَجَرٌ ، ومنّا أخذها اليونان والعرب ٠ ١٠ »

وقال شارل جانت في كتابه « أدب الآثوريين والبابليين » ص ٣٥٥ « Abné لفظة اكتدية معناها حجارة ومفردها Abnu ٠ وأورد سبع ألفاظ مركبة منها Aban-Samé ومعناها حجر السماء ٠ واللفظة كما وردت آنفاً تعني بالسريانية حجراً ، قطعة لبن مشوي* ، كومة حجارة ٠ (دليل الراغبين ص ٣) وهي أيضاً بالعربية Eben (معجم برون ص ٣ ومعجم شامبريس ص ٢٦٠)

حيث ذهب المؤلف ان اللفظة اليونانية أخذت من العبرية Hohnim جمع لفظة

• Obni , Hobni

فاللفظة اذاً سريانية من أصل اكتدي ، ومن السريانية اقتبسها سائر اللغات .
أُترج : أجمع دوفال ص ٢١٣ والمطران ادى شير في « الألفاظ الفارسية
المعربة » ص ٣٤ والدكتوران مايرهوف وصبحي ص ٧٩ على نجار هذا اللفظة
الفارسي . وكتب الينا الأمير الشهابي ان الأترج والشرنج من أصل
سنسكريتي هو ماثلستا ومنه انتقل الى الفارسية فالعربية . فنالي آراءهم .
انتون : قال غويدي في كتابه « بلاد العرب قبل الاسلام » ص ٥٧
ان تنور وانتون وفرن الفاظ أعجمية .

اضافة الى : اجار : ومنه حديث الهجرة فتلقى الناس الرسول في السوق
وعلى الأجاجير والأناجير يعني السطوح « النهاية لابن الأثير ١ : ١٩ » .

وفي كتاب آداب الآثوريين لشارل جان ص ٢٦٧ و ٣٥٧ « Igaru :
نطاق ، سور ، استعملت في أثر دون أوامط المئة السادسة ق م » .

اضافة الى اجانة : واللفظة بالآثورية Agan وبالعربية والسكندانية Agan
Agam . توافقت فيها الآثورية والآرامية والعربية (كتاب بيان النسبة بين

اللغات الهندية الاوروية واللغات السامية لميخائيل هونتورا ص ١٢٣) .

آجر : قال الفيومي في المصباح المنير ص ١٢ « الآجر ، اللبن اذا طُبِخ ،
بمدة الحمزة والتشديد أشهر من التخفيف ، الواحدة آجرة وهو معرب » .

وقال المطران ادى في الألفاظ الفارسية المعربة ص ٧ نقلاً عن الأب
هنري لامنس البلجيكي في كتابه الفروق ص ٣٣٠ « الآجور والآجر والآجر
والآجرون تعريب اكور ، وهو تراب يحكم عجنه وتقريصه ثم يحرق لينى »
وهذا عن محيط المحيط للمعلم البستاني ص ١٠ الذي ذكر فيه عشر لغات وقال

أنه معرب أككور بالفارسية . وقال لامنس أنه جاء في الشعر الفصيح وأورد فيه أبياتاً لبعضهم . وذكر السيد ادى أن فرنكل في ص ٥ من كتابه الألفاظ العربية الآرامية الأصل قال أن أصل اللفظة آرامي وهو موجود في اللغة الآثورية القديمة ١٥ وهي بالآثورية Agurru . وارتأى دوفال أيضاً أصلها السرياني ص ١١٦ . ورواها الدليل Ogouro بالمفرد ص ٥ وابن بهلول ص ٢٥ ويرون ص ٣ بالجمع Ogouré وزاد يرون أنها بالآثورية Agurru وقال الدكتور امرائيل ولغفسون في تاريخ اللغات السامية ص ٤٠ « يظهر أن كلمة آجر ليست في الأصل عربية بل هي بابلية نقلها العرب إلى لغتهم واستعملوها في الطين المحرق ، وأوردتها في القاموس البابلي الآثوري ص ٤٩ Agurru . والأصح على ما يستنتج مما درسناه أن اللفظة آثورية الأصل ومنها اقتبسها الآرامية والفارسية والعربية .

ادوناي : معناها الرب الإله القادر على كل شيء ، توافقت فيها اللغات الفينيقية Adan , Adon والآثورية Adunu والعبرية Adonai والآرامية Odonai , Adonai : السيد ، الرب . (هونتورا ص ١٦٣ ، يرون ص ٤ الدليل ص ٦) .

إضافة إلى إران : قال امرؤ القيس : وعننس كألواح الإران نسأتها . أي ضربتها بالمساة وهي العصا . (شعراء النصرانية ٣٩) .
وجاء مثله في شعر طرفة (ص ٣٠٠)

ارجوان : قال البستاني في محيط المحيط ص ٦ « الأرجوان معرب ارغوان بالفارسية ، شجر له ورد يتنقل به الفرس على الشراب ، والأحمر وثياب حمراء وصبغ أحمر والحرة » وقال شارل ص ٢٤٤ - ٣٥٦ « Argaman-nu بالاكديية تعني صباغة الثوب من جلد الحملان بالأحمر » وقال هونتورا ص ٣٩٢ « هي لفظة

سريانية • ووردت أيضاً باللغة السنسكريتية *Ergewan, Argawan* : شجرة زهرها احمر مصدرها من الفعل الماضي *Argu, Argan* ومعناه : تلاًّلاً « وهي بالسريانية *Argwono* »

اضافة الى ارز : قال أيضاً مايرهوف وصبحي (جامع المفردات ص ٨٦) ان لفظ الأرز (الرز) لا تعرفه اليونانية ، وهو بالفارسية : برنج •

اضافة الى آس : وقالوا أيضاً ص ٧٥ « آس هي باليونانية *Myrsine* وباللاتينية *Myrtus* وبالفارسية مـُورد *Mürd* » انظر أيضاً القاموس الفرنسي الفارسي تأليف كازيميرسكي ص ٣٢٨ ووردت فيه *Mourd* وبالفرنسية *Myrte* وورد الآس في شعر أعشى قبس قال : وآسٌ وخيري ووردٌ وسوسنٌ (ص ٣٧٩) •

اضافة الى امي ، وآس : هي أيضاً بالآثورية *Asa* : امي و *Ass* آس ، طبيب (هونتورا ص ٢١٢ و ٢٣٨) •

اضافة الى أسكل : أوردناها ص ١٧ *Ouçlo* سهواً وصوابها : آؤسلو

• *Awçlo*

اضافة الى اکتار : قال غوبدي في كتابه «بلاد العرب قبل الاسلام» المطبوع عام ١٩٢١ ص ٥٠ «كان الأعراب الرحّل يحتفرون الزراعة وقال أحد الشعراء : بالرمح يُحاز المجد لا بجراثة الحقول • وفي الواقع ان الفاظ الزراعة هي آرامية الأصل وهي بحسب افرام الأعراب أنفسهم : اکتار ، اريس ، نير ، اندر ، ناطور ، فدآن •

قلنا اننا نستثني لفظة اريس وجمعها أرايسة اذ ليست في لغتنا •

أمة : الأمة المملوكة (الشرتوني ٢٠) لفظة توافقت فيها الآثورية *Amatu* أو أمئتو والسريانية *Amo, Amtho* آمو ، أمئتو ، والعبرية

Amah أمه ، والعربية ولغات جنوب الجزيرة والحبشة : أمة (الدليل ٢٤
ويرون ٢٠ وهونتورا ٢٧١ وولفسون ٢٨٤) فهي إذا سامية النجار .
إضافة الى إسم : تشترك في هذه اللفظة الفينيقية Hamar والآثورية
Himmeru (هونورا ص ٢٥٧) .

إضافة الى أنبوب : هو بالآثورية Amboub ومعناه : قصبة ، زمارة
وبالسريانية Aboubo هونورا ص ٣٧٣ .

إضافة الى اندر : الأندر البيدر بلغة أهل الشام وكدس القمح ج أنادر
(محيط المحيط ص ٢٠٥٥ - ٢٠٥٦) وفي النهاية لابن الأثير ١ : ٤٦ « وفي
حديث عمر كان لأيوب اندران : الأندر البيدر وهو الموضع الذي بُداس فيه
الطعام بلغة أهل الشام » .

وفي كتاب صورة الأرض تأليف أبي القاسم ابن حوقل النصيبي ، القسم
الثاني طبعة ليدن سنة ١٩٣٩ ص ٣٠٤ « ولم يرم (قباد) حتى جعل فارس
مقاطعات وخراجات تُقْبَضُ إذا حُتِنَ ما في الأنادر ، وتُصرف الأكرة
والمزارعون في البيادر » .

إضافة الى آنزك : هو أيضاً بالآثورية Hanak وكذلك بالعبرية (هونتورا
ص ٣٠٢) .

إضافة الى إيل : توافقت فيها اللغات الفينيقية Aila والآثورية Ailu , Ilu
والآرامية Ailo والعبرية Ayial والعربية : إيل والحبشية Aialu . ووردت
أيضاً بهذا اللفظ في اليونانية واللاتينية والغالية والجرمانية (هونورا ١٤٩) .

حرف الباء

باب : لفظة توافقت فيها الآثورية Bābu : باب (المعجم الآثوري للأب شيل
ص ٥٢) والسريانية Bobo , Bobo : باب صغير (الدليل ص ٤٩) والعربية ،
وجعلها هونورا ، سامية ص ٢٣٠ .

إضافة الى بابوس : وجاء سيفي شعر ابن احمر لغير الاناس (النهاية لابن الاثير ١ : ٥٦) .

إضافة الى الباري : وقال الأصمعي ، الباري والبوري عربي وأنشد للعجاج :
كالحُصّ اذ جلّته الباري (محيط المحيط ص ١٤١)

إضافة الى باشق : وقال السيوطي في الكنز المدفون ص ٨٠ في الباقي لغتان باشق وباسق .

إضافة الى باطية : توافقت فيها الآثورية Batu (هونورا ص ٣٨٧)
والسريانية ، ومن هذه اقتبسها العربية .
إضافة الى باعوث :

ص ٢٤ في الهامش : وذكر المعلم بطرس البستاني ، صلاتي ثاني عيد الفصح
وطلب المطر (محيط المحيط ص ١٠٥) .

بتول : البتول ، الشاب ، العزب والشابة العزباء البكر ، توافقت فيها الآثورية
Batulu : بتول ، شاب (النحو الآثوري للأب ف . شميل وفوسسي ص ٥٢)
وهونورا ص ١٧٠ Batulu : فتى ، شاب و Batultu : فتاة) والسريانية
Bthoulo , Bthoulto بتول ، عزب ، بتولة ، عذراء ، والفعل Bthal
و Ethbatal : تبتّل ، كان بتولاً . والعبرية : Betulah : فتاة ، بكر
(هونورا ص ١٧٠) والعربية .

إضافة الى بجران : قال الطبيب عبيد الله بن بختيشوع المتوفى سنة ١٠٦١ م
في كتابه الروضة الطبية الذي نشره بمصر القس بولس سباط سنة ١٩٢٧
ص ٦٠ « البجران هو بحسب هذا الاسم في اللغة السريانية ، القضاء بين الخصمين
لأنهم شبهوا الطبيعة والمرض بخصمين قد تقدما الى الحاكم ، وكل منهما خائف
من بت الحكم عليه . فعلى هذا الوجه وضعوا اسم البجران . فقد بان ان معنى

البحران من هذا القول ، هو تغير يعرض للأمراض بفتة ، وهذا التغير لازم لسائر الأمراض الا انه في الأمراض الحادة أظهر وأبين » وجمع بحرات بحارين ، قال في الصفحة نفسها ، « وأصناف البحارين سبعة » .

برقي : صاعقة توافقت فيها الآثورية Birku والسريانية والعبرية Barko (هونورا ص ٣٠٢) .

برك : سامية Baraka (هونورا ص ١٢٣) .

إضافة الى برنس : قال المهمل أخو كليلب :

واذا تشاء رأيت وجهاً وانحما وذراعاً باكية عليها برنس

(شعراء النصرانية ١٧٩) .

بسا : توافقت فيها الآثورية Bastu والآرامية Bso والعبرية Boza والعربية (هونورا ص ١٦٣) .

بصل : البصل البقل المعروف هو بالسريانية : بيسلو بصلو : Baslo , Beslo (الدليل ٧٦) وبالعبرية والعربية بصل (برون ٥٢ وهونورا ٣٠٦) وذكر هذا انه بالآثورية Basalu فاللفظة من توافق هذه اللغات الأربع .

إضافة الى بستوقة : وفي محيط المحيط ص ٩٢ « قلّة من الفخار فارسي معرب » . تحقيق في لفظة بعير : تورط بعضهم في رأي فائل أخذاً عن الدميري في كتابه « حياة الحيوان » ج ١ ص ١٣٣ عن ابن السكيت وخلاصته « ان البعير سمي بعيراً لأنه يبعّر . يقال بَعَّرَ البعير يبعّر بفتح العين فيها بعراً باسكان العين كذبح يذبح ذبحاً ، وهو امم يقع على الذكر والأنثى وهو من الابل بمنزلة الانسان من الناس ، فالجل بمنزلة الرجل وانما يقال له بعير اذا اجذع » . وهو تعليل مغلوط فيه لا يلتفت اليه ، وذلك ان ذوات الحفّ والظلف كلها تبعر ، قال الفيثومي في المصباح المنير ص ٨٧ « البعّر معروف وهو من

كل ذي ظِلْف وخُفّ ، وبَعَر ذلك الحيوان بعراً من باب نفع ، ألقى بعراً» ومثله في أقرب الموارد ١ - ٥٠ وقطر المحيط ١ : ١١٩ وعلى رأي الدميري ومن قال بقوله : يصح أن يسمى بعيراً كل من الشاة والعنز والأرنب والغزال والابل وغيرها ! ومن قبيل تعليل الدميري الفارغ قوله ج ١ ص ١٩ لفظ الاثنان من الاثنيان ، وص ١٨٠ «وسمي الثور ثوراً لأنه يثير الأرض كما سميت البقرة بقرة لأنها تبقرها» وقوله في الخنزير ١ : ٣٠٣ «وحكى ابن سيده عن بعضهم انه مشتق من خرز العين لأنه كذلك ينظر .

وأما ابن جنّي الذي استأثر لنفسه اكتناء سر اللغة ولطائفها في ما زعم ، فبعد أن قال ص ١٢٤ «الناقة فعلة من قولهم تنوقت في الشيء اذا أحكمته ونخّيته ، أردف ص ١٤٠ «وعلى هذا قالوا (جمل) لأن هذا (فعل) من الجمال ، ونقله عنه المعلم بطرس البستاني وعلّله بان العرب يحسبون الجمال جمالاً وزينة (محيط المحيط ص ٢٨٩) وفي ص ١٥٠ ولذلك قالوا البقر من بقرت بطنه اذا شققته ، فهو الى السعة والفسحة وضد الضيق والضغط» ! مع ان هذه الأسماء تشترك فيها لغات شتى وأخصها السريانية .

فان جمل بالسريانية والكلدانية Gamlo وبالأثورية Gammalu وبالعبرية Gimmel وبالحبشية Gamal . والثور بالفينيقية Tor وبالسريانية والكلدانية Tauro وبالعبرية Shor وبالحبشية والمغولية Toro وكذلك باللاتينية Tauro . والبقر سامية وبالعبرية Vacar , Bacar وبالسريانية Bacro (بقرو) . والخنزير هي بالأثورية Canacara و Habacar وبالسريانية Hziro (حزيرو) . وابل هي بالأثورية Ibilu . وورد في السريانية Aboulo : قافلة من إيسل^(١) ،

وفي محيط المحيط ، « الأَبُول والابُول : القطعة من الابل » ، (نسبة اللغات
للمخائيل هونورا ص ١١٨ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٤٦ و ١٩٣) .

وقس على هذا قوله في البازي ١ : ١٨٠ « لفظه مشتق من البزوان وهو الوثب .
وفي الدَّرَاج ج ١ — ٣٣٥ « الدَّرَاج القنفذ صفة غالبة عليه لأنه بدرجة ليله
كاته ، قاله ابن سيده » وفي الدجاجة ١ — ٣٢٨ سميت الدجاجة دجاجة لاقبالها
وادبارها ، يقال دَجَّ القوم يدجئون دَجًّا ودجيجًا اذا مشوا مشيًا رويدًا في تقارب
خطو ، وقيل هو ان يُقبلوا ويُدبروا » وبمثله تقدمه ابو علي القالي في كتابه
البارع قال « داجٍ وقال غيره الداج الذين يُقبلون ويُدبرون وهو الدجيج
وانما سميت الدجاجة لأنها تُقبل وتُدبر » ا

ولا نعلم أبة اناقة أو تنوتق وجد ابن جني في شكل الناقة أو في سيرها
وأبي جمال سحره من أوضاع جسم الجمل حتى انه استجاز هذا الاشتقاق الغريب
وان كان العرب يتجهلون بكثرة جمالهم ، ولا نظن علماء عربياً أو مستعرباً ذكياً
بقتنع بهذه التخاريج الملفقة .

وقال الفيروز آبادي ١ — ٣٧٤ و ٣٧٥ البَعِير باسكان العين ويُهْرَك ،
رجيع الخُف والظِّلْف ، والفعل كَنَعَ ، والبَعِير وقد تكسر الباء الجمل البازل
او الجذَع وقد يكون للأنثى ، والحمار وكل ما يحمل ، وهاتان عين
ابن خالويه . وفي الهامش « قوله والحمار الخ قال ابن بري ، وفي البعير
سؤال جرى في مجلس سيف الدولة بن حمدان وكان السائل ابن خالويه والمسئول
المتنبي ، قال ابن خالويه والبعير أيضاً الحمار وهو حرف نادر القيته على المتنبي
بين يدي سيف الدولة ، وكانت فيه خنزوانة وعنجبية فاضطرب . فقلت
المراد بالبعير في قول القرآن : ولما جاء به حمل بعير (الحمار) ، وذلك ان
بعقوب واخوة يوسف كانوا بارض كنعان وليس هناك إبل وانما كانوا يتنارون

على الحمير ، وكذلك ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره « اهـ ثم ان في قول الهميري « انما يقال له بعير اذا اجذع » دليلاً على ان هذا الاسم لا يطلق عليه من باب التعميم لكنه مخصص به اذا اجذع اي بلغ سنه الخامسة ، كما قيل فيه الجمل البازل وهو البالغ سنه التاسعة .

وأما لفظة (بعير) B'ero السريانية فدونك مدحا في المعاجم السريانية : ابن بهلول ، عمود ٤١٤ : البهائم ، الأنعام ، وفي نسخة ثانية ، الحيوانات التي تعتلف العشب . ومنها للأكل ومنها للعمل في ما يحتاج اليه ، وعدّها دوفال من الألفاظ السريانية والعبرية ٣ : ٨٩ . وفي القاموس العتيق : الأنعام والبهائم والبعير وما اعتلف الحشيش . وفي برون ص ٢ : بهائم ، أنعام . وفي اللباب ١ : ١٣٢ البهيمة والدابة . وفي دليل الراغبين ص ٧٥ دابة ، بهيمة ، ماشية ، جمل ، بعير .

وجاء في التوراة بحسب الترجمة السريانية البسيطة Warmi Kesto la'bourhoun وترجمتها بحسب النقل الموصل « وصبّ علفاً للحمير » تكوين ٤٣ : ٢٤ . وقال الهميري نفسه ج ٢ ص ٣٦١ « النعم عند اللغويين ، الابل والشاة يذكّر ويؤنث ، وقال ابن الاعرابي : النعم الابل خاصة والأنعام الابل والبقر والغنم . وحكى القشيري في تفسير الأنعام ، انها الابل والبقر والغنم والحيل والبغال والحمير » .

وجاء في محيط المحيط ص ٢١٠٠ « النعم وتسكن عينه ، الابل والشاة او خاص بالابل ج انعام وانعام » وفي المصباح : « النعم الممال الراعي وهو جمع لا واحد له من لفظه ، وأكثر ما يقع على الابل . قال ابو عبيد : النعم الجمال فقط ويؤنث ويذكّر نج نعمتان مثل حمل وحملان ، وأنعام أيضاً . وقبل النعم الابل خاصة ، والأنعام ذوات الخف والظلف وهي الابل والبقر

والغنم . وقيل يُطلق الأنعام على هذه الثلاثة فاذا انفردت الإبل فهي نَسَمٌ ،
واذا انفردت الغنم والبقر لم تُسمَّ نَسَمًا « ٥١ » .

ومن هذا نستنتج ان تفسير ابن بهلول وصاحب المعجم العتيق لهذه اللفظة ،
يشمل أيضاً معنى البعير الذي صرح به الأخير فضلاً عن صاحب الدليل وهو الأصح .
وأثبت ما يقال في لفظة البعير انها بما توافقت فيه اللغات السامية .

بلثور : البلثور والبيثلور ، جوهر أو صنف من الزجاج معرب فيثرائس
باليونانية (محيط المحيط ص ١٢١) قال هونتورا ص ٣٦٦ « بلثور Buralu
بالآثورية و Bélouro بالسريانية و Bérullo باليونانية . وهي في اللاتينية
والفرنسية Beryl .

بندق : قال غوبدي ص ٥٠ « وكان يحمل الى العرب من البلاد الأجنبية
عنها شيء كثير من الأغراس والثمار كالبنديق ، فان أصله من بلاد البنطس
ونسبة الى بلاده الأصلية ممي Nux Pontica جوز البنطس وسمي بالأرامية
Pendco وبالعربية أخذاً منها : بندق .

بنى : أنشأ بناءً توافقت فيها الآثورية Banu (غراماطيق شيل وفوسفي
ص ٣٦) والأرامية Bno والعربية .

تصحيح للفظه بئوص : جاء في القاموس العتيق : بوصو Bouço : الكتّان
الرفيق مثل القصب والدُّبقي ويقال أيضاً الدِّمَقْس إذا خالطه الابريسم .
وقال ابن بهلول ع ٣٧٢ « بوصو ، حرير الكتّان مثل القصب والدُّبقي ،
آخر ، الكتان الرفيق ، الدِّمَقْس المقتل ، حرير مفزول . وقال ابن مردشويه :
انه يستخرج من لب قصب الكتان ويسمونه (قَنَز) وقيل هو ما يفسجه
دود الحرير وهو أبيض الخ » وعدّها دوفال في جملة الألفاظ السريانية ٣ : ٨٦ .
وفي اللباب ١ : ٩٤ « الدِّمَقْس أي الحرير الأبيض والدِّباج او الكتّان » .

وفي كنز اللسان السرياني ٦٥ : ١ « الكتّان الرقيق الأملس الأبيض » .

وفي دليل الراغبين ٦٥ « كتّان ، حرير أبيض » .

وورد في التوراة البسيطة (تكوين ٤١ : ٤٢) Lbousho , Dbouço .

Walebshé وترجموها بارجوان الا البروتستانتية فقالت « والبسه ثياب بّوص » .

وفي سفر الخروج ٢٥ : ٤ « وارجوان وقرمز وبوص » انظر أيضاً ٢٧ : ١٦

و ١٨ : ٢٨ و ٥ : ٦ و ٨ و ١٥ الخ في النقلين الموصل والبروتستانتية . وفي سفر

استير ١ : ٦ « بستائر ٠٠٠ معلقة بحبال بوص وارجوان في حلقات من فضة »

في النقلين القديم والموصل ، وبهذا اللفظ أوردناها في انجيل لوقا ١٦ : ١٩

« ولبس البرفير والبوص » وفي سفر الرؤيا ١٨ : ١٢ « تجارة الذهب ٠٠٠

والبوص والارجوان والحرير والقرمز » وعدد ١٦ « المدينة العظيمة المتحضنة

بوصاً وارجواناً وقرمزاً » .

ووردت اللفظة أيضاً في نقش الملك كلو بن حيتا الراجع الى المئة الحادية

عشرة ق م : قال « في أيامي كُسي بَص » تاريخ اللغات السامية لولفسون

ص ٦٥ و ٢٧٤ في الكلام على اللغة الكنعانية (الفينيقية) .

وجعلها شامبريس في معجمه يونانية الأصل Byssos ومعناها : كتان

رفيع جداً ص ٥٠٩ . وكذلك معجم ثييل ص ٢١٣ وقال فيها في اللاتينية

Byssus ولكن العرب المسيحيين أوردوها بلفظها السرياني ، بّوص (قُطر

المحيط ص ١٥٤ ومحيط المحيط ١٤٢ وأقرب الموارد ٦٧) ولم يقولوا بيستوس

ولا ريس أو ريص .

أما فرنكل فقال في كتابه « الألفاظ العربية الآرامية الأصل » ص ٤٠

« ان لفظة الحَزْ اما فارسية واما آرامية مأخوذة من (بوصو Bouço) وقال

ايضاً المطران ادنى في كتابه (الألفاظ الفارسية المعربة) ص ١٣٤ « والبوص

آرامي الأصل مُشتق من (بُوص Boş) وهو فعل مات في اللغة الكنائية لكنه مستعمل في اللغة الدارجة ومعناه ، تلاًلاً ، واضاء ، سطع ، ويرادفه العربي باضَ بَوَضاً ، حسن وجهه بعد كَلَّفَ (الشرنوبلي ٦٧) ومن (بوصو) مأخوذ العربي (بُوص) والعبراني بوص Butz واليوناني Byssos واللاتيني

• « Byssus »

وقال ميخائيل هونسورا ص ٢٧٤ « لفظة البوص هي بالفينيقية Buts وبالعبرية Buts وبالسريانية Butso وبالآثورية Buk وباللواتينية Bussos وباللاتينية

• « Byssus »

فترجع أنها فينيقية الأصل ووافقتها فيها الآثورية والآرامية والعبرية ، ومنها اقتبسها اليونانية واللاتينية ، ومن الآرامية أخذها العرب المسيحيون .

بَيَّت : توافقت فيها الآثورية والسريانية والعبرية ، وقال ولفسون ص ٨ « أنها من اللغة السامية الأصلية Bi - i - tu , Bytu »

بيعة : اجمع عشرة علماء كتب تسعة منهم بالسريانية وواحد بالعربية وهم : ثاودورس بن كوفي أسقف كسكر (حوالي سنة ٧٠٠ م) في كتابه (اسكوليون) مج ٢ ص ٤ و ٥ و طبع في باريس ، ويشوعداد المروزي اسقف الحديثة في آثور (نحو سنة ٨٥٠) في كتابه ، تفسير اسفار العهد الجديد مج ١ ص ١١١ - ١١٢ وهو مطبوع ، وحنانياشوع بن مروشويه اسقف الحيرة (نحو سنة ٩٠٠) في معجم ابن بهلول ، وموسى ابن كيفا اسقف بارمتان .
ويث كيون (٩٠٣ +) في كتابه الخطب مج ١ ص ٩٠١ وهو مخطوط في خزانتنا ، والحسن بن بهلول (سنة ٩٦٣) في معجمه المشهور عمود ١٤٠٨ - ١٤٠٩ ، والطبيب ابو نصر ابن جرير التكريتي السرياني (نحو سنة ١٠٧٩) في كتابه العربي الموسوم بالمرشد في الباب التاسع والعشرين في بناء البيعة ، وهو مخطوط في خزانتنا ، ويعقوب بن صليبي مطران آمد السرياني (١١٧١ +) في كتابه

تفسير الانجيل ، النسخة المطبوعة في باريس مج ١ ص ٣٨١ — ٣٨٢ والنسخة المخطوطة بقلم المؤلف على ما نرى وهي مصونة في خزانتنا في تفسير الآية ١١ من الفصل ١٦ من انجيل متى ، ويعقوب البرطلي مطران دير مار متسى وأذربيجان السرياني (١٢٤١ +) في كتابه الموسوم بالكنوز ، وهو مخطوط في خزانتنا الفصل ٣٩ من المقالة الثانية ، والعلامة مار غريغوريوس بن العبري مفران المشرق (١٢٨٦ +) في كتابه مخزن الأسرار في تفسير الآية المذكورة آنفاً ، أجمع هؤلاء الفضلاء ان لفظة - البيعة - كما وردت في اللغة السريانية (عيتو Ito) مشتقة من لفظة (عيدو Ido) والفرق بين اللفظتين ان عيتو مؤنث وعيدو مذكر ومعناه ، محفل حافل بالأفراح ، فإذا ان البيعة تعني جماعة المؤمنين الذين تجمعهم وحدة الدين والطريقة .

وقال غيرهم ان لفظة البيعة عبرانية النجار تفسرها بالسريانية (كنوشتو Knoushto) ومعناها اهلوا فاجتمعوا (جماعة) ويقال لها باليونانية اقليسيا ، وترجم بالسريانية ، دعوة ، ارادوا بها انها دُعيت من سائر الشعوب والأمم فاجتمعت . هذه صفة ما أورده ثمانية علماء بالسريانية ، ونضيف اليها ما قاله عبد يشوع الصوباوي مطران نصيبين (١٣١٨ م) في كتابه « الجوهر » المطبوع ثانية في الموصل سنة ١٩٢٤ (في الباب الثالث والفصل الثامن ص ٣١) وترجمته « ان اسم البيعة ، بدل على محفل وعيد » او يعني اجتماعاً حافلاً .

ودونك النص العربي لما أورده في هذا الباب ابو نصر التكريتي في كتابه ، المرشد ، قال :

« اسم البيعة عبري تفسيره الجماعة ، وليس المراد بهذا الاسم الحيطات ولا الجدران ، لكن الجمع الذي يجتمع فيه المؤمنون بالمسيح للصلاة والعباد والقربان وباقي العبادات . وفي اليوناني سمي اقليسيا ومعناه الدعوة اي ان الشعوب

المجتمعين فيها دُعوا إليها للعبادة . وفي السرياني عيتو ، اي جماعة ، وقد تسعى أيضاً في حقيقة لغتهم (كدوشتو) اي جماعة ، و (كدوشيو) اي الاجتماع . كل هذه أسماء بدلها على الاجتماع الذي الغرض فيه العبادة على ما استقر في السنة المسيحية . والرسول فولوس يقول ، أعطوا السلام للبيعة اي يعني الجماعة التي آمنت بالمسيح ، والآباء في الأمانة السليحية يقولون : ونقر في بيعة واحدة قدسية جاثليقية ورسولية ، اي جماعة المؤمنين جمعاً ورث عن الرسل اي السليحيين وورث الايمان عنهم ، وخاصة شمعون الصفا الذي قال له سيدنا انت الصفا وعليك أبني يعني ، اي انك الأصل والاساس الذي بك تقبدي جماعتي المؤمنة » ٥١ .

وبما يؤيد اشتقاق لفظة البيعة من (عيد) بحسب اجماع الأئمة الثانية ، ايرادها في معظم المعجمات السريانية في حرف العين ، من ذلك معجم يشوع ابن علي ص ٢٠٢ وأردفها بلفظة (عيد) ومعجم ابن بيهلول ع ١٤٠٨ - ١٤٠٩ والقاموس العتيق ، ومعجم المطران توما اودو مج ٢ ص ٢٠٢ ودليل الراغبين ص ٥٣٢ بعد (عيد) وصريح ان (عيتو) بالقيين : جماعة ، جمهور ، محفل ، بيعة ، كنيسة . ما عدا معجم اللباب الذي ذكرها في حرف الواو ١ : ٣٢٦ وقال ان التاء فيها عوض من الواو وقد يعتاض عنها بتضعيف الدال فيقال 'Edo واستشهد على ذلك بيت لماز افرام . أما معجم يرون فأثبتها في حرف الواو من فعل Wæd , iêd : يبيد واعييد ص ١١٢ و ١١٨ وفي حرف العين أيضاً ص ٤٢٩ . ولفظة العيد نفسها تعني بالسريانية أيضاً : حفلة ، جمع ، ملا (دليل الراغبين ص ٥٣٢) .

هذا ما أجمع عليه القدماء . أما المحدثون فاتفق الأب لويس شيخو المتوفى سنة ١٩٢٢ ذهب الى ان لفظة البيعة سريانية (بييتو Bîllo) ومعناها البيضة

والقبة اشارة الى شكل بناء الكنائس قديماً (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٢) .

وذهب البطريك افريم رحمانى المتوفى عام ١٩٢٩ انها مشتقة من لفظة (وَاَعِيدَ Wa'ed) ومعناه جمع ولائم (الليتورجيات الشرقية والغربية ص ٥٦) .
وارتأى المطران يوحنا دولباني السرياني من المعاصرين لنا انها مصدر من فعل (وَاَعَادَ Wa'ad) المأثبات على صيغة (صَفِثُو Seftho) من فعل (اِصْفِيفَ Ysef) ومعناه اهتم و (شَفِثُو Shenthho) من فعل ايشين Ishen ومعناه وَسَّيَنَ ، نام ، رقد) .

أما نحن ففضلنا آراء أئمة اللغة القدماء وهي عندنا أولى من المعاصرين بفهم معاني الأسماء وأسباب تسميتها . ولاح لنا كأنهم اعتبروا لفظة (بيت) السابقة للفظي عيد أو عيتو وكتابهما بمعنى : جمع ، محفل ، ملاء ، وان لم ترد صراحة في المعجمات التي بيدنا ، على ان هذا التركيب لا يمنع القياس ولا أصول اللغة السريانية واصطلاحاتها ، فقد أحصينا فيها ١٧٧ لفظة تتقدمها (بيت) ومنها
Beth - bauto مبيت Beth - Wa'do مجتمع ، مقر . Beth - houçoiio
محراب Beth - cnoushtio مجتمع ، كنيسة Beth - cnoushtio بيعة ، كنيسة
النصارى واليهود Beth - nouro : معبد النار Beth - seghdto : مسجد ، معبد
Beth - ma'mro : منزل Beth - saubo : مجتمع ، كنيسة ، مدرسة
Beth - sloutho : مصلّى ، معبد Beth - coudsho : مقدس Beth - shabtho :
كنيس اليهود Beth - machrio : منزل Beth - teshmeshto مصلّى ، معبد .
ولا يبعد أبداً ان يكونوا صاغوا بيعة من Beth - ido أو Beth - ito
فاستعملوا فيها الادغام اذ أخذوا الباء والياء من (بيت) والعين والتاء من
(عيد) مستبدلين الدال بالتاء ، كما فعلوا في (بيت اذرو Beth - edhro)

فقالوا فيها بيدرس آخذين من الأولى الباء والياء ومن الثانية الدال والراء .
وقد نقل السيد رحمانى في الليتورجيات ص ٥٦ ، نصاً قديماً يرجع الى المئة
الرابعة ، ان الكنيسة كانت تسمى بيت الجماعة .

ولفظه (عيتو) وردت في سفر الزامير بمعنى : جماعة ، محفل ، وجاءت بالمعنى
الذي نقصده في الإنجيل متى ١٨ : ١٧ « وان لم يسمع منهم فقل للبيعة » وان
لم يسمع من البيعة فليكن عندك كالوثني والعشار » (الترجمات الموصلية
والقديمة والشدياقية والسوعية) والمراد بالبيعة هنا جماعة المؤمنين . ووردت بمعنى
المصلّى والمعبد في أقوال شعراء الجاهلية من ذلك قول ورقة بن نوفل
أقول اذا صليتُ في كل بيعة تباركت قد اكثرت باسمك داعياً .
وقال لقيط بن معبد في غنيمته التي وجهها الى قومه تحذيراً لهم من كسرى
ذي الأوتاد :

تامت فؤادي بذات الخال خربة صرت تريد بذات العذبة البيعة
(مختارات شعراء العرب لهبة الله العلوي ص ٢ وتاج العروس ٥ : ٢٨٥)
وقال عبد المسيح بن بقليلة :
من بدور فوق أغصان على كسب زرن احساباً بيعة
(معجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٥١) .

وأوردنا ص ٣٣٠ من المحلة ، قول الزرقان بن بدر التميمي لما وفد على الرسول .
وهذه الاسناد نقلناها من كتاب النصرانية وآدابها للأب شينو (١ : ٢٠٢ و ٢٠٣)
ونعلم أيضاً ان جريراً سمي متعبد الجوس « بيعة » بقوله :
مشي الهرايد حببوا بيعة الزون

والزون بيت الأصنام (اساس البلاغة ١ : ٤١٢) .
غير ان جريراً استعمل هذه اللفظة لمتعبد الجوس الكفرة ، اما استهتاراً
بسائقى سفاهته وعصبيته البغيضة ، واما لضرورة الشعر ، على ان متعبد الجوس

يسمى بيت النار كما ورد في فقه اللغة للشمالي ص ٣٠٤ ، ومروج الذهب للمعـودي ١ : ٣٨١ - ٣٨٥ ، ويطلق عليه حيناً : هيكل وهو لفظ قديم خُصَّ غالباً ببيت الأصنام ، أما البيعة فهي باجماع علماء العربية للنصارى .

وما تجب ملاحظته ان لفظة (بيعة) عم استعمالها قديماً بلاد العراق والجزيرة ومصر ، فلا نجد سواها للدلالة على الكنيسة في الكتب التالية وهي : سير البطارقة الأقباط لسويرس ابن المقفّع اسقف الأشمونين المطبوع في باريس ، الجزء الأول ص ١٣ و ١٦ و ٤٩ و ٥٠ و ٥٢ و ٥٩ و ٦٨ و ٧٣ و ٢٤٨ الخ ، ومقالة في أقسام الدين للشيخ ابي سهل المسيحي الجرجاني (مقالات دينية نشرها الأب شينغو ص ١١٨) وتواريخ ايليا مطران نصيبين وماري بن سليمان وعمرو ابن مقي الطيرهاني من كتبة المئات الحادية والثانية والرابعة عشرة للميلاد ، وكتاب التراجم السنية للجانليق ايليا الثالث ابي حليم (١١٩٠ م) ١٤٣ و ١٤٧ و ١٦٨ و ١٧٠ و ١٨٨ و ٢٠٥ و ٢٣٣ و ٢٤٤ و ٢٤٦ و ٢٩٢ و ٣٠١ و خطبة ليشوعياي بن ملكون الدينيسري مطران نصيبين نشرت في الكتاب المذكور ص ١٥٩ وقد كررها أربعاً ، ومقالته في الرد على من يهـم النصارى بعبادة الأصنام لسجودهم للصليب (مباحث فلسفية انقهبها القس بولس سباط ص ١٥٩) وكتاب المرشد لأبي نصر العكربي ، وفيه ذُكرت ثلاثاً وثلاثين مرة في الأبواب الثالث عشر والسادس عشر والتاسع والعشرين والحادي والخامس والثلاثين . وكتاب خطب الشيخ الصفي بن العسّال القبطي المطبوع عام ١٨٨٧ ص ٤ و ١٦ و ١٨ و ٢٢ و ٧٤ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ وفصوله في تثليث الاتحاد (مباحث فلسفية ص ١١١) والتاريخ الموسوم بتاريخ سعرت ج ١ ص ٩ و ٢٦ و ٣١ و ١٨٦ الخ و ج ٢ ص ٣٠٧ فضلاً عن تاريخ ابن بطريق وذبله ليحيى الانطاكي وسيرة بوحنـا الدمشقي للراهب ميخائيل السمعاني الرومي وتاريخ مختصر الدول ، وتاريخ الطائفة المارونية للدوبيعي ، التي لا تحلو منها .

وإذا طالعنا كتاب فتوح الشام للواقدي (٨٢٣ م) الجزء الأول ص ٧٤ و ٨٠ و ٨١ و ٩٠ و ٩٥ و ٩٨ و ١٠١ و ١٨٩ و ٢٠٣ والجزء الثاني ص ٨٣ و ٩٢ و ٩٤ و ٩٧ و ٩٨ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٥^(١) . وفي جرح البلدان للبلاذري (٨٩٢ م) ص ١٣٢ و ١٨١ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٣٤٠ و خصوصاً ما تضمنته من كتب عهود الأمراء الفاتحين ، والفهرست لابن النديم (٩٩٥ م) ص ٤٦٧ و ٤٩٠ . وتاريخ ماردين لعبد السلام ابن خطيب التكية (١٨٤٣ م) وهو مخطوط في خزانتنا^(٢) ، نقف على هذه اللفظة أكثر بكثير من لفظة (كنيسة) .

كما انه لا يزال يستعملها خاصة حتى اليوم ، نصارى ما بين النهرين والعراق ، فلا تكاد نسمع منهم لفظة كنيسة التي نسميها اليوم خصوصاً في بلاد الشام . فنخرج من بحثنا هذا بتأييد رأينا في أصل هذه اللفظة السرياني وطريقة اشتقاقها وزمان استعمالها .

حرف التاء

تِبْن : التِبْن عَصِيفَةُ الزَّرْعِ مِنْ بُرٍّ وَنَحْوِهِ ، الْوَاحِدَةُ تِبْنَةٌ وَالتَّبْنَانُ بَائِعُ التَّبْنِ ، وَتِبْنٌ جَعَلَ التَّبْنِ فِي الْمَتْبَنِ (أقرب الموارد ٧٣) وفي السريانية (تِبْنُو Tebno) تِبْن (وتابن Tabèn) تِبْنٌ ، و(تابونو Tabono) تِبْنَانُ بَائِعُ التِّينِ (الدليل ٨٢٨) وقال هونورا ص ٣٠٢ هي بالسريانية والعبرية Tabana وتيبانورية Tibanu . فهي إذاً لفظة توافقت فيها الآثورية والسريانية والعبرية والعربية .

(١) من الثابت عند أهل التحقيق ان كتاب الواقدي ، وان كان سcribe في قالبه الحالي بعض الكتابة في أثناء الحروب الصليبية على الأرجح ، فانهم حفظوا من أصله ألفاظاً وعبارات شتى أوردوها على علاقتها .

(٢) وذكر ست بيع وثلاث كنائس لماردين ونصيبين .

تصحيح ثُبَّان : سراويل صغير ثبت عندنا أصلها الفارسي تعريباً من (ثُبَّان)
 تمساح : التمساح والتمسح بالكسر ، حيوان يكون بنيل مصر وبعض
 أنهار السند (الشرتوني ١٢٠٩) وأضبط من هذا التعريف ماورد في معجمي
 شامبريس ١٩٥ ولاريف ٣١٠ وهو : « Krokodelios , Krokodelius : لفظة
 يونانية تعني حرذون ، صَبَّ ، وهي أحناس عظيمة الجثة تحكي في ظاهرها
 الحراذين أو الضباب » ^(١) . قال هونورا ٢٩٩ « واسم هذا الحفش بالآثورية
 Tamaçaku » وهو بالسريانية Tamsih , Temsah تيمساح تمسيح (اودو ٦٢٧
 والدليل ٨٤٢ ويرون ٧١٥) فاللفظة توافقت فيها الآثورية والسريانية والعربية .
 تَنِين : جنس حيوانات من العضاء اللَحِيْمَات الألسنة (الشهابي ٢٣٠)
 توافقت فيها السريانية Tanino معجم اودو ٦٢٨ والدليل ٨٤٣ والعربية ،
 تَنِين (برون ٧١٦) والعربية (هونورا ٣١٤) .

حرف الثاء

ثعلب : الثعلب من حيوانات ذوات الثدي ورتبة اللواحم وفصيلة السكبيات ،
 مشهور بالتهليل ، واللفظة توافقت فيها الآثورية Šelabu , Ša-labu (عن
 بروكلمان في مختصر علم اللغة السامي Précis de linguistique sémitique)
 والسريانية : تملو Ta'lo والعربية .

ثور : جنس حيوانات من رتبة المجترات : توافقت في هذه الفينيقية Tor
 والسريانية Tawro والعربية Shôr والعربية : ثور ، والحشية Toré كما توافقت
 اللاتينية Taurus واليونانية Tauro والغولية Taro (هونورا ١٤٦) والثورة :
 البقرة ، وكذلك بالسريانية Tawrto ثورثو .

(١) ومثله ماقل فيه صاحب المصباح المنير ٨٨٣ « التمساح من دواب البحر يشبه
 الورل في الخلق ، لكن يكون طوله نحو خمس اذرع واقل من ذلك ، ويختطف
 الانسان والبقرة ويقوس به في الماء فيأكله » .

حرف الجيم

إضافة إلى الجالوث والجوالي . قال أبو اسحق الصائغ (المختار من رسائله ص ٩٩ و ١١١ و ٢١٤) « وإلى أعمال الجوالي بأن يستخرجوا في المحرم ... »
ويجتنبون في سنة الهلال الجوالي والصدقات .

جبار : قال هونورا ص ١٧٩ هي بالآشورية Kabbaru , Gabaru
وبالعبرية Gabar وبالسريانية Gaboro . توافقت فيها اللغات الثلاث .
إضافة إلى جَبَر (رجل) لفظة سامية (هونورا ١١٤) .

إضافة إلى جُدَاد ص ٣٤١ سطر ٢١ : قال البستاني في محيط المحيط ٢١٩
و ٢٢١ « جدّ الشيء قطعه ، وأصل المعنى في هذه المادة في اللغات السامية القطع .
والجُدَاد : خُلُقَان الثياب . وكل متعقّد بعضه ببعض من خيط أو غصن ...
معرب كُدَاد بالفارسية » .

وقال أبو علي اسمعيل بن القاسم القالي في كتاب « البارع » في اللغة الذي
نشره ١٠١ س فُلْتَن Fulton في لندن عام ١٩٣٣ ص ١١١ « والجُدَاد الخيوط
المعقّدة وهي مُعَرَبَةٌ يقال لها بالنبطية كُدَاد وقال الأعشى :

« والليل غامر جُدَادها » أراد الخيوط سترها بسواده ١٠٥

يُضاف إلى جدّف : أنها سريانية وتوافقها العبرية (هونورا ٣٦٢) .
جيرجيس : قال المطران ادى ص ٣٩ : « الجرجس الشمع والطين الذي
يُخْتَم به والصحيفة تعريب جرجشت والفارسي مأخوذ من السرياني Gargeshto ،
والقيرقس لغة فيه ، راجع كتاب فرنكل ص ٢٥٢ » .

جيريث : قال البستاني في محيط المحيط ص ٢٣٠ « الجرِيث (كذا بالثناء
المثناة) ضرب من السمك ، ومنه قول الامام محمد « جميع السمك حلال غير
الجرِيث » والجرثي سمك طويل قال المطران ادى ص ٣٤ أنها من أصل آرامي

Geriotho - (كيريونو) • وفي مجمع الأمير الشهابي ص ٥٨٠ الجيرثي
هو السمك المسمى Silurus glanis ، قال وهو بكثرة في الفرات •
الجيزاف : « مثله الجيم والضم » أفصح ، الخدس والتخمين في البيع والشراء
معرب كزاف بالفارسية ومعناه الأخذ بكثرة من غير تقدير « محيط المحيط ٢٤٩ •
يضاف الى جزير ص ٣٤٣ س ١٧ : قال ابو علي القالي في البارع : والجزير
بلغة أهل السواد الخ وقال الشاعر :

اذا راونا قلدصوا من مخافة ويسعى علينا بالطعام جزير
قلدصوا يعني ضموا أيديهم دون التأييد وذلك من فعل العلوج لكبيرهم
كما بقول العبادي : دشت بكسر كرت ا ه .

يضاف الى الجص ص ٣٤٣ س ٢ : قال أبو علي في « البارع » ص ١١١
« الجص » وقال الكلابيون هذا الجيص وكسروا الجيم ، وقال بعضهم ، الجص
ففتح الجيم ، وقال يعقوب يقال هو الجيص والجص ، وقال الخليل بكسر
الجيم معروف وهو من كلام العجم ، ولغة أهل الحجاز في الجيص « الفص » •
والجصاصات المواضع التي يعمل فيها الجيص « وقال صاحب محيط المحيط ٢٥٦
« الجص » : الجبس معرب كج بالفارسية او جبس باليونانية » •

جفنة : الجفن أصل الكرم او قضبانته ، والجفنة واحدته • لفظة توافقت
فيها الآثورية Gapnu والسريانية Goufno والعبرية Gephen والعريية •
(هونورا ١٧٩) •

جلا : لفظة سامية Gala (هونورا ١٩٤) •

جمل : لفظة توافقت فيها الآثورية Gammalu والسريانية Gamlo
والكلدانية والعبرية Gamal والحبشية Gamal والعريية (هونورا ١٣٣) وقال
ولفسون ص ٨ انها من اللغة السامية الأصلية •

إضافة الى جهنم : وفي كتاب المسائل والأجوبة في الحديث واللغة تأليف عبد الله ابن قتيبة الذوفي سنة ٨٨٩ م ص ١٣ « سألت عن جهنم هل وجدت له ذكراً في الشعر القديم . وهذا يحتاج الى تتبع وطلب ، وقد تذكرت فلم أذكر الا شيئاً وجدته في شعر أمية بن أبي الصلت قال :

فلا تدنو جهنم من بريء وعَدْنُ لا يُطالِعها الأُنْثِيمُ
إذا شَبَّتْ جهنمُ ثم زادت فاعرض عن قوابسها الجحيمُ

وقرأت في الانجيل غير موضع « في جهنم ذات الوقود » .

فلما ووردت جهنم في شعر أعشى قيس :

دعوت خليلي مستَعْلًا^(١) ودعواله جهنمًا جَدْعًا للجهنم المذمَّم.

حرف الحاء

إضافة الى حاج : قال عمرو بن كلثوم :

تمشي ببعيدَيْن من لُؤْمٍ ومنقصة مشي المقيد في اليتبوت والحاج

حاشا : الحاشا شجرة شوكية صغيرة عيدانها كقش القناديل (محيط المحيط

٣٢٨) وكتب الينا صديقنا الأمير مصطفى الشهابي صاحب معجم الألفاظ الزراعية

بالفرنسية والعربية يقول : « الحاشا كلمة آرامية تدل عند العرب على أنواع من الصمتر

Thym لم ترد في الأمهات من المعجمات ، ولا في الجزء الخامس من كتاب

النبات لأبي حنيفة الدينوري ، ولكنها وردت في المفردات وفي شرح أسماء

العقار وفي التحفة وفي التذكرة » .

حانة : وقعت في كلام ابي اسحق الصابي ص ١٣٦ « وان يبطل الحانات » .

(١) يحمل اسم تابعة الأعشى قاله الجوهري .

حصن : الحصن القلعة قال المطران أدى ص ١٢٧ « أما الحصن فمعرب
عن الآرامي Hesno حصنو ، نقلًا عن فرنكل ٢٣٥ - ٢٣٦ » ومالأه دوفال
أيضًا على أصله السرياني ٣ : ١١٣ .

حلتيت : وفي محيط المحيط ٤٣٤ « والحلتيت صمغ الأنجيدات
ولا يقال حلتيت .

حمار : قال بروكلمان في مختصر علم اللغة السامي ص ٩٣ « هي بالسريانية :
Hmoro وبالأثورية Imeru , Imaru » وقال ولفنسوت في تاريخ اللغات
السامية ص ٨ « وهي من اللغة السامية الأصلية » وفي س ٢٨٤ - ٢٩٣ هي
بالسريانية : Hmoro وبالأثورية البابلية : إمرؤ ، وبالعبرية ، حَمُور ،
وفي جنوبي الجزيرة والحبشة ، حمار .

حَوَل : قوّة : وقعت في بعض رسائل الصابي ، قال ص ٤٣ « فالحمد لله
ذي المنّة والطَّوَل ، والقُدرة والحَوَل ، »

مار أغناطيوس افرام الأول برصوم

بطريق انطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس ينبع :



أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينَوْرِيَّ

والجزء الخامس من كتاب النبات

تمهيد : إذا ألقيت نظرة على أسماء علماء العرب ، من صُرَّحاء ومستعربة ، فأصبتَ فيهم رجلاً دَقَّ بين أدباء اليوم صِدْنُهُ ، بمقدار ما جَلَّ على لساننا الضادي فضله ، فذلك الرجل إنما هو أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري .

لقد كاد هذا العلامة يكون مغموراً في أيامنا هذه ، فلا يعرفه إلا القليل من الأدباء ، على حين أن بعض مصنفاته ، وأخص منها كتاب النبات وكتاب الأنواء ، كانت من أوثق الكتب التي اعتمد عليها ونقل منها أصحابُ معجاناتنا المشهورة ، وأصحاب كتب المفردات والزراعة ، كابن سيده في المخصص ، وابن منظور في لسان العرب ، والفيروزآبادي في القاموس المحيط ، والزبيدي في تاج العروس ، وابن البيطار في مفرداته ، وابن العوام في الفلاحة الأندلسية وغيرهم كثير .

وقد ذاع صيت هؤلاء المصنفين ، واستفاضت شهرة مصنفاتهم ، لأن كنوزهم الثمينة هذه لم تفقد ، والحمد لله ، بل عُثر عليها وطُبعت وصارت في متناول أيدينا . أما كتب أبي حنيفة الدينوري فقد ضاعت ، وبالأأسف^(١) ، فكاد

(١) إلا كتاب الأخبار الطوال ، ولولا الجزء الخامس من كتاب النبات الذي نتكلم عليه . وكتاب الأخبار الطوال ، كتاب في التاريخ ، وهو الوحيد الذي عثر عليه كاملاً ، وطبع في لندن سنة ١٨٨٨ م ، وأبنت بلا مقدمة وبلا فهرس حتى سنة ١٩١٢ م ، وفيها وضع المستشرق أغناطيوس كرانثوفسكى فهرسه ، وصدرها مقدمة ممتعة بالفرنسية ، وطبعها في لندن لحَقّاً للكتاب .

بنطمس بضياها اسم هذا العالم الكبير ، وأمسى لا يُذكر الا عرضاً في الجمل
التي نقلها عنه أصحاب كتب اللغة وغيرهم من المؤلفين . وقد خَمَل ذكره
خمولاً عجيباً ، حتى ان ثلاثة من الأدباء قالوا لي انهم عندما بقروا في أحد
معجاناتنا القديمة تفسيراً لكلمة نباتية ، معزواً الى أبي حنيفة ، فهم بتوهمون
أن هذا الاسم إنما هو اسم الامام أبي حنيفة النعمان ، لا اسم أبي حنيفة
الدينوري فتأمل !

وفي أوائل سنة ١٩٤٩ م أوفدت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية بعثة
الى إسطنبول ، تبحث في خزانات كتبها عن المخطوطات العربية المهمة ، وتفسخ
منها نسخاً بالتصوير الشمسي ، فعثر رئيسها الدكتور الأديب يوسف العش ،
في خزانة جامعة إسطنبول ، على نسخة من الجزء الخامس من « كتاب النبات » ،
وهو أجل مصنفات أبي حنيفة ، فكان الفرح بهذه اللقطة عظيماً . وقد رغبتُ
الى الإدارة المشار اليها أن تبعث اليّ بصورة من هذه النسخة فحققت مشكورةً
تلك الرغبة . وبعد ثلاثتها بالمعان كتبتُ فيها وفي أبي حنيفة هذا المقال الموجز .

مولد أبي حنيفة وحياته : هو أحمد بن داود بن وَتَنْدَ ، أبو حنيفة
الدَّيْنُورِيّ . وَتَنْدُ هذه كلمة إيرانية كانت اسماً لجدّه . ومعناها الكاسب
او الراج ، على ما ذكره بروكسن في تاريخ آداب اللغة العربية . أما كراشكوفسكي
فقد ذكر في مقدمة فهرس « الأخبار الطوال » لأبي حنيفة ان وند اسم نجم
من النجوم ، أو اسم إله يمثل ذلك النجم ، وأنه ذُكر كثيراً في كتب
البرسميين المقدسة . ويظهر ان الأشخاص كانوا يسمّون به .

وأخيراً كتب العالم بور داود ، أستاذ اللغات القديمة في جامعة طهران ،
بناءً على طلبي ، تحقيقاً متمماً لمعنى هذه الكلمة ، ومما جاء فيه أنها كانت تدل
على نجم وعلى الإله المختص به ، وأنها وردت مراراً في « الأوستا » مع غيرها

من أسماء النجوم ، وأنها كانت تكتب فيها بالتاء أي « ونفت » ، وعندما نُقلت الأوستا الى البهلوية جُعِلت التاء فيها دالاً ، وأنها النسر الواقع Vega عند بعض المحققين ، وقلب العقرب Antares عند آخرين ، وأنها تطلق اسماً على الأفراد ككثير غيرها من أسماء النجوم ، وإن معناها اللغوي القادر والغالب والظافر لا الكاسب ولا الراجح الخ .

وقد رُسم هذا الاسم بالتاء المثناة غلطاً اي « وَتَنَسَد » في معجم الأدباء لياقوت « طبعة مرجليوث وطبعة مصر للدكتور فريد الرفاعي » . ولكنه جاء صحيحاً بالنون في بغية الوعاة للسيوطي ، وفي خزانة الأدب للبغدادی ، وفي بعض الكتب الحديثة ككتاب بروكلمان الملحق اليه وكمعجم المطبوعات العربية والمعرية لسركيس .

وَدِينَسُورُ التي وُلِدَ فيها ونُسب اليها بلدة ايرانية ليست ببعيدة عن حدود العراق ، وفي الموسوعة الاسلامية انها من العراق الفارسي . وقال ياقوت في معجم البلدان انها مدينة من أعمال الجبل قرب قَرْمِينْسِيْن (كرمان شاه) ، وذكر أسماء بعض من نُسب اليها من الأدباء والعلماء .

ولم أجد في كتب التراجم ولا في كتب اللغة ذكراً للسنة التي وُلِدَ فيها أبو حنيفة . ويظن بروكلمان في الموسوعة الاسلامية انه وُلِدَ في السنين العشر الأولى من المائة الثالثة الهجرية . وقال الأستاذ أحمد أمين في ضحى الاسلام (ج ١ ص ٤٠٣) : « وُلِدَ بدبنور : ولم يُعلم تاريخ ولادته ، وإن كان يُرجح انها في العشرين الأولى من القرن الثالث الهجري » . ولم يذكر العالم الأول الأسباب التي جعلته يظن هذا الظن ، وكذلك العالم الثاني فهو لم يذكر الأسباب التي حملته على هذا الترجيح . وسيظل تاريخ ولادته مجهولاً ما لم نعثر فيه على نص قديم موثوق به . وفقدان هذا النص حمل الزركلي صاحب قاموس الاعلام على جعل تاريخ ولادته مجهولاً .

وقد اختلفوا أيضاً في تأريخ وفاته . ولكن معظم الذين ترجعوا له في القديم والحديث يرجعون كونه توفي سنة ٢٨٢ هـ قال ياقوت في معجم الأدباء : « مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين » وجدت ذلك على ظهر كتاب النبات من تصنيفه . ووجدت في كتاب عتيق : مات احمد بن داود ابو حنيفة الدينوري قبل سنة تسعين ومائتين . ثم وجدت على ظهر النسخة التي بخط ابن المصَّبَّح ، بكتاب النبات ، من تصنيف ابي حنيفة : توفي ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ثمانين ومائتين . ووجدت في كتاب الوفيات لأبي عبد الله محمد بن سفيان ابن هارون بن بنت جعفر بن محمد الفيريازي البغدادي : مات أبو حنيفة أحمد بن داود بن وتَسَد (كذا بالتاء) صاحب كتاب النبات في سنة إحدى وثمانين ومائتين .

وفي بغية الوعاة لم يميز السيوطي أيضاً تأريخ وفاته فجعله في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين ومائتين ، او اثنتين وثمانين ومائتين ، او سنة تسعين ومائتين . أما ابن الأثير في الكامل ، والقفطي في إنباه الرثاة على أنباء النشعة ، وأبو الفداء في تاريخه ، وابن كثير في البداية والنهاية ، والقرشي في الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، والبغدادي في خزانة الأدب فجميعهم أرخوا وفاته في سنة ٢٨٢ هـ . وكذلك أرخ سر كيس في معجم المطبوعات والزركلي في قاموس «الأعلام» . وقال بروكلمان في الموسوعة الاسلامية : ان الآراء لم تتفق على تأريخ وفاته ، وقال : لكن يظهر أن السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٢٨٢ اي الرابع والعشرين من تموز سنة ٨٩٥ م هو تأريخ الوفاة الذي تكاد تجمع الآراء على قبوله . وهذا الرأي هو أيضاً رأي كراتشكوفسكي في المقدمة التي ألفت اليها ، ورأى معظم العلماء الاوربيين في القرن الماضي

وأوائل القرن الحاضر الذين جاءوا على ذكر أبي حنيفة ، مثل سلفستر دوساسي
Sylvestre de Sacy ولوكلرك Leclerc وغيرهما .

والظاهر أنه قضى شطراً كبيراً من حياته في مدينة دينور ، وأنه كان
يقوم فيها بأعمال الرصد ، فوق أعماله العلمية اللغوية المختلفة . وله مع معاصره
علامة الأدب واللغة أبي العباس المبرد صاحب الكامل قصة طريفة تدل على
علو كعبه في اللغة ، كما تدل على أنه كان في الدينور عندما زارها المبرد ^(١) .
وذكر عبد الرحمن أبو الحسين الصوفي العالم الشهير بالملك والمتوفى سنة ٣٧٦ هـ
أنه رأى في دينور البيت الذي لبث أبو حنيفة سنين طوالاً يرصد النجوم على سطحه ^(٢) .
ويستدل بأقوال المؤرخين العرب ، وبالشواهد الكثيرة التي قرأتها في
الجزء الخامس من كتاب النبات ، على أنه رحل الى البصرة والكوفة حيث تتلمذ
على ابن السكيت وأبيه خاصة ، كما رحل الى أنحاء مختلفة من جزيرة العرب ،
حيث كان ينقل أسماء النبات عن من يثق بهم من الأعراب .

ومن الغريب أن كتب التراجم وكتب اللغة وكتب الأدب القديمة لا تذكر
عن حياته الا الأقل الذي لا يشفي غيلاً ، على حين أن أصحاب هذه الكتب
لا ينكرون فضله الكبير على اللغة . وضياح معظم كتبه أقصدنا ما ربما كان
فيها من معلومات في هذه الناحية ، ولذلك لبثنا الى الآن جاهلين لأسرته
وحداثته وتعلمه ومشايخه ، ورحلاته الى البلاد العربية ، واتصاله بأعراب القبائل
للمدرسة أو للتأليف ، وكيف كانت مجالسه ومناظراته ، وما هي صلاته بأدباء
عصره وبالسلطان ، ومن أين كان يرتزق ، ومن هم تلاميذه الخ .

(١) انظر خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٦ من الطبعة القديمة و ج ١ ص ٦١

من طبعة المكتبة السلفية .

(٢) عن كراتشوفسكي في مقدمة دنفارس الأخبار الطوال « ص ٢١ و ٤٧ .

أقوال الأدباء فيه : لا شك أن أبا حنيفة كان من أنبه علماء عصره ، وأوسعهم ثقافة ، وأرسخهم قدماً في لغة العرب. وأدائها ، وأكثرهم اطلاعاً على علوم تلك الأيام . فقد جعله ياقوت في معجم الأدباء : « نحوياً لغوياً مهندساً منجماً حاسباً راوية ثقة فيما يرويه ويحكىه » . ومن قبله قال ابن النديم في الفهرست : « كان مفتتاً في علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند ، ثقةً فيما يرويه ومعروفاً بالصدق » . وكرر الأنباري والقفطي والبغدادى مثل هذا القول ؛ وكذلك السيوطي في بُغية الوعاة ، وأضاف أنه ورع زاهد . وبلاحظ أن جميع القدماء الذين أتوا على ذكره في مصنفاتهم جعلوه ثقةً فيما يرويه أو يلبيه . وذكره بعضهم بالصدق والورع والزهد وجلالة القدر ؛ وهي أدلة على بعض أخلاقه .

وفي ترجمة أبي حنيفة في معجم الأدباء كلام نقله ياقوت عن كتاب «تقريظ الجاحظ» لابي حَيَّان التوحيدي ، يُستدل منه على أن أبا حنيفة كان في نظر أبي حيان أحد ثلاثة « لو اجتمع الثقلان على تقريرهم ومدحهم ونشر فضائلهم ، في أخلاقهم وطولهم ومصنفاتهم ورسائلهم ، مدى الدنيا ، الى ان يأذن الله بزوالها ، لما بلغوا آخر آخر ما يستحقه كل واحد منهم » ؛ وهؤلاء الثلاثة هم الجاحظ وأبو حنيفة الدينوري وأبو زيد احمد بن سهل البغدادي . ويقول أبو حيان في أبي حنيفة : « انه من نوادر الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقدم ، ورؤاء وحكم ؛ وهذا كلامه في الأنواء بدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ، فأما كتابه في النبات فكلامه فيه في عُروض كلام أبندى بدوي » ، وعلى طباع أفصح عربي .

وذكر ياقوت أيضاً نقلاً عن كتاب «تقريظ الجاحظ» الملمع اليه ان بعض الأصحاب اختلفوا في مجلس أبي سعيد السيرافي في بلاغة الجاحظ وأبي حنيفة ،

فحكّموا أحدهم فقال : « أبو حنيفة أكثر ندارة ، وأبو عثمان أكثر حلاوة ، ومعاني أبي عثمان لائقة بالنفس ، سهلة في السمع ، ولفظ أبي حنيفة أعذب وأعرب وأدخل في أساليب العرب » .

ومن المستشرقين الذين أطروا أبا حنيفة كثيراً المستشرق الروسي المشهور كراشكوفسكي^(١) فقد قال مامعناه ان آثار الجاحظ التي عُثر عليها تدل على علو كعبه في الأدب ، وعلى صحة رأي أبي حيان فيه وتحسسه له ، كما أنها تدل أيضاً على وجود اختلاف بين الجاحظ وأبي حنيفة في خصائصهما العلمية ، وكذلك بين أبي حنيفة وأساتيذه الأجلاء كابن السكيت وأبيه . فبينما اقتصر هؤلاء على المواضيع اللغوية اتسعت آفاق أبي حنيفة حتى شملت جميع فروع العلوم في أيامه . وإذا كان أبو حنيفة قريع الجاحظ في عمق التفكير وسعة المعرفة ، فقد فاقه في دقة تصنيف العلوم ، وفي الاعتماد عن خلط بعض البحوث العلمية ببعض في كتاب واحد ، فجعل لكل موضوع علمي كتاباً ، على ما يتضح لنا من أسماء تصانيفه . ومن العجيب انه على الرغم من خوضه في علوم مختلفة فقد كان مالكاً لزمam مواضيعها ، فلا يكتفي بالرواية أو النقل ، بل يأتي بالآراء الشخصية الطريفة ، خلافاً لكثير من الأدباء المعاصرين له ، وللمعظم الذين جاءوا بعد عصره . ومع ان اللغة كانت الغرض الاسامي الذي حداه على تأليف كتاب النبات ، شأنه في ذلك شأن أساتيذه ومعاصريه ، فقد جاء هذا الكتاب فذاً في موضوعاته ، حتى انه فاق كثيراً كتب النبات اليونانية . وموجز القول في أبي حنيفة انه كان : « عالماً موسوعياً بكل ما في هذه السلكة من معاني » ، وانه خلق فوق أقرانه من علماء العلوم المختلفة .

هذه بعض آراء كراشكوفسكي في أبي حنيفة ، كتبها بالفرنسية استناداً على ما جاء في كتب التراجم العربية ، وعلى دراسته لكتاب الأخبار الطوال ، وعلى آراء

(١) فهارس كتاب « الأخبار الطوال » انظر ص ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ من المقدمة .

بعض المستشرقين المتقدمين^(١) . وجميعهم لم يكن لديهم إلا نُسخ من كتاب النبات ، مع الأسماء التي نقلها أصحاب المعجمات العربية عنه . وبعد العثور على الجزء الخامس من الكتاب المذكور وتلاوتي له ، أيقنت أن آراء كرانشفونسكي فيه وفي صاحبه هي عين الصواب .

وفي الموسوعة الإسلامية مقال للمستشرق بروكان ذكر فيه ان أبا حنيفة كان لغويًا مواليدياً عربياً . وقال ان كتاب النبات له شأن كبير في تأريخ العلم . ثم وصف الكتاب وصفاً موجزاً بناءً على المعلومات التي أمكن استخراجها من المعجمات ، ولا سيما من المخصص ومن مفردات ابن البيطار .

مؤلفات أبي حنيفة : بلغت جملة مؤلفاته المعروفة أسماؤها عشرين كتاباً ، وهي التي ثبتت صحة نسبتها اليه . وكلها تقريباً مذكورة في الفهرست وفي معجم الأدباء . وبعضها في إنباه الرواة على أخطاء النسخة ، وفي الجواهر المضية ، وفي نزهة الألباء ، وفي خزائن الأدب ، وفي كشف الظنون . وهناك اختلاف في تسمية بعضها وفي نسبته الى أبي حنيفة .

وأعظم هذه الكتب شأنًا كتاب النبات . وهو يشتمل على ستة أجزاء كبار ، على ما أصبح محققاً بعد العثور على جزئه الخامس . وكان أبو حنيفة يُعرف بصاحب كتاب النبات ، أي انه عندما كان يقال صاحب كتاب النبات فعناه أبو حنيفة دون غيره . وكل كتب النبات التي صُنفت قبله (ككتاب الأصمعي وكتاب أبي زيد) صغيرة لا تقاس به . وهو نسيج وحده من حيث

(١) يظهر ان أهم بحث في كتاب النبات كتبه سيلبربرغ Silberberg بالألمانية في مجلة للعلوم الآشورية وهي Zeitschrift für Assyriologie - XXIV, 1910, 265 - 225 وكذلك 88 - 39, 1911, XXV ولم أطلع على هذا البحث الذي أطراه كرانشفونسكي ولا شك انه جاء نتيجة لجهل كبير ، لأن جميع أجزاء الكتاب كانت يومئذ مفقودة .

احتوائه على أسماء النبات وأسماء أجزائه وما يتصل به ، وعلى تحليلة عدد من النباتات ، وعلى جملة كبيرة من الأشعار المتعلقة بالنبات ، وكل ذلك بأفصح لغة وأصحها . ولم يتصل بنا أنه ألف مثله من قبل ولا من بعد . وسنذكر فيما يلي من بحثنا هذا معلومات موجزة فيه ، مستقاة من الجزء الخامس الذي عُثر عليه في إسطنبول .

ومن مؤلفات أبي حنيفة كتاب الأنواء ، وهو في علم الفلك والألفاظ المتصلة به . ويعد أجل كتبه بعد كتاب النبات ، وقد أطراه أبو حيان التوحيدي بقوله في أبي حنيفة : « وهذا كلامه في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك » ، على ما سبق ذكره . ومدح البيروني هذا الكتاب ونقل عنه . أما ابن سيده في المخصص فقد نقل عدداً كبيراً من ألفاظه . وهو من أوثق الكتب في الأسماء الفلكية . ومن المؤسف فقده .

ومن تصانيفه في هذا الباب كتاب القبلة والزوال وكتاب الكسوف ، ويقول القفطي في هذا الكتاب الأخير : « تملكته بخطه » . وله في الرياضيات كتاب البحث في حساب الهند ، وكتاب الجبر والمقابلة ، وكتاب نوادر الجبر .

وله في العلوم الدينية تفسير القرآن . قال أبو حيان : « ولقد قيل لي إن له في القرآن كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً ، ما رأيتُه ، وأنه ما سبق إلى ذلك النمط » . وله أيضاً كتاب الوصايا ، وكتاب حساب الدوائر ، وهما في التركات وحساب تقسيمها .

أما في اللغة فصنفت أبي حنيفة كثيرة . ولقد كان معدوداً من أئمة اللغة العربية ، ومن أعرفها بالفحو وبالكلم الفصاح ، وبالأدب من شعر وأخبار . وكان في طبقة أدباء عصره المشهورين كابن قتيبة والمبرد والجاحظ وابن دريد وأشباهم . وله في هذه الموضوعات كتاب الشعر والشعراء ، وكتاب ما يلحن فيه

العامة ، وكتاب الفصاحة ، وكتاب إصلاح المنطق ، وكتاب الجمع والتفريق ، وكتاب جواهر العلم ، لم يرد ذكره إلا في كشف الظنون ، وكتاب الرد على لُعْنَة (١) الأصماني .

وصنف في التاريخ كتاب الأخبار الطوال ، وهو الكتاب الوحيد من كتب أبي حنيفة ، الذي عُثر عليه كاملاً ، وطُبِعَ في لندن سنة ١٨٨٨ م . وعبارته سلسلة فصيحة من أروع الأدب الرفيع . وفيه معلومات قيمة ، ولا سيما أخبار الاسكندر والساسانيين وحوادث صفين والخوررج .

وذكر ابن النديم وياقوت والقفطي والبغدادي له كتاباً اسمه كتاب البلدان ، قالوا انه كبير . ولا ادري أهو كتاب تاريخ أم كتاب جغرافيا وأدب على غرار كتاب ياقوت .

وأغرب كتاب له هو كتاب الباء ، هكذا جاء اسمه في بغية الوعاة ، وفي نزهة الألباء ، وفي معجم الأدياء . ولم يرد له ذكر في الفهرست ، ولا في إنشابه الزهواة . وسماء البغدادي كتاب الباءة . ومن الغريب أن يؤلف في موضوع الباء رجل كأبي حنيفة قال فيه أبو حيان : « ... هذا مع ورّعه وزهده وجلالة قدره » . فاذا صحت هذه التسمية بكون الطب هو موضوع الكتاب ، على ما جاء في كشف الظنون .

نسخة الجزء الخامس من كتاب النبات : قلت ان هذه النسخة

المخطوطة قد عُثر عليها في خزانة جامعة إسطنبول . ويسمونها اليوم (إسطنبول أونيفرسيتيه سي) . وهي فيها مرقمة برقم ٤٧١٦ ، وتشتمل على ٢٣٧ صحيفة أي ورقة . وفي كل صفحة من صفحتي الورقة ١٥ سطراً . ومعدل ما في كل سطر نحو

(١) هو الحسن بن عبد الله أبو علي الأصماني المعروف بلُعْنَة ولُعْنَة . ذكر ياقوت في ترجمته انه كان في طبقة أبي حنيفة الدينوري ، وانه كان بينهما مناقشات . « من تحقيق كراشفوفسكي ص ٣٢ و ٣٣ من المقدمة الملح إليها » .

ثماني كلمات . وطول الصفحة ٢٤ سنتيمتراً وعرضها ١٦٩٥ سنتيمتر . أما الصورة التي صورتها الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية فمساحة صفحاتها أصغر ، فهي قد جاءت في طول ١٥٩٣ سنتيمتر وعرض ١١ سنتيمتراً ، أي أن طول كل ورقة ١٥٩٣ سنتيمتر وعرضها ٢٢ سنتيمتراً .

وصفحات النسخة الأصلية غير مرققة . وقد رُقِّمت الادارة الثقافية أوراق نسختها المصورة فبلغت ٢٣٧ ورقة كما قلت ، وكل من أولها وأخرها في صفحة واحدة ، فيكون المجموع ٤٧٢ صفحة . وأرقام الأوراق أي الصفائف السبع والثلاثين والمائتين هذه هي التي أشرت إليها مراراً في عرض كلامي التالي بقولي من كذا .

والجزء الخامس الذي نتكلم عليه مؤلف من قسمين قسم عنوانه « ومن أنحاء صنعة القسي » وهو في ٧٢ ورقة ، وقسم في أسماء أعيان النبات ، مرتبة على حروف المعجم من المهمزة أي الألف حتى الزاي (ص ٧٣ — ٢٣٧) . وفي الورقة الأولى المؤلفة من صفحة واحدة جاء عناوين الجزء كما يلي : « الجزء الخامس من كتاب النبات تأليف أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري رحمه الله . من قوله ومن أنحاء صنعة القسي الى آخر حرف الزاي » .

وعلى هذه الصفحة حمل كتبها الذين تملكوا المخطوطة منها : « من كتب خليل بن أبيك الصفدي » ، وهو العلامة المشهور .

وفي ص ٢٣٧ وهي الأخيرة : « تَمَّ حرف الزاي » ، وبه تم الجزء الخامس ، ويتلوه في السادس ، ان شاء الله ، حرف السين . والحمد لله رب العالمين كثيراً ، وصلى الله على رسوله المصطفى وآله وسلم . فَرَخَ من كتبه عبد الله بن سالم ابن الأخضر بن محمد المارديني غفر له ، وذلك سنة خمس وأربعين وستمئة هجرية في ربيعها الآخر حامداً ومصلياً .

وقد نقل الناسخ المذكور هذه النسخة عن نسخة كانت للقاضي أبي سعيد السيرافي مكتوبة بخطه . والواضح ان السيرافي جعل نسخته على أجزاء يزيد عددها على عدد أجزاء كتاب النبات الستة . فالجزء الخامس هذا من الكتاب جاء في نسخة السيرافي على جزءين جزء سابع وجزء ثامن . والأول منها يشتمل على بحث القسسي* (ص ١ - ٧٢) ، والثاني على أسماء أعيان النبات من الألف حتى الزاي (ص ٧٣ - ٢٣٧) . ولذلك تنتهي الورقة ٧٢ بقول الناسخ : « هذا آخر الجزء السابع من أجزاء القاضي أبي سعيد السيرافي رحمه الله » .

ثم في أول الورقة ٧٤ يقول :

« الجزء الثامن من أجزاء القاضي أبي سعيد السيرافي رحمه الله ومن خطه نقلت » . والخط في هذه النسخة حسن واضح . والمكلمات فيها مشكولة بالشكل الكامل . ثم ان النسخة نفسها قد سلمت من عوادي الأيام ، فلبثت صحائفها محتفظة بروائها ، الا الصحيفة ٢١٤ فقد لوثت بشيء أشبه ما يكون بالحبر ، فانطمست بعض ألفاظها . ولم أحص أسماء القسم الأول من الجزء ، وهي الأسماء المتعلقة بالقسي والسهام والقذاح وما إليها . أما القسم الثاني المحتوي على أسماء أعيان النبات ، وأسماء بعض أجزائه ، فقد أحصيت فيه ٤٦٨ اسماً أولها الأراك وآخرها الزبير وهو من أسماء الكنان .

وصنف أبو حنيفة أعيان النبات ، في القسم الثاني هذا ، على حروف أوائل أسمائها ، لا على حروف أواخرها ، ودلل على رجحان هذه الطريقة ، ولكنه لم يراع في التصنيف الا الحرف الأول من كل كلمة . ففي باب ما أول حروفه ألف ، ترى كلمة أراك مثلاً ، وقد آتت قبل كلمة أنترج ، وترى كلمة أفنحوران قبل كلمة أسل . وفي باب ما أول حروفه الباء جعل البطيخ قبل البصل وهكذا .

وعناوين البحوث التي جاءت في القسم الأول من الجزء الخامس هي : ص ٢

«ومن أنحاء صنعة القسي» ، ص ٩ « وضرب آخر من نعوت القسي»
 في حال الرمي عليها» ، ص ١١ وما تحلّس به القوس» ، ص ٣٠ «ومن
 صفات النّسبل» ، ص ٣٦ «ومما في القيدح من أسماء طوائفه» ، ص ٣٩
 «ومما يجعل على القيدح» ، ص ٥٣ «ومن أسماء السهام» .

وسرّد أسماء الأعيان من النبات وتجليتها ، من الألف حتى آخر الزاي ، قد ملأ
 ١٦٤ ورقة من مجموع الجزء الخامس وهو ٢٣٧ ورقة . وعلى هذا ترجح عندي
 ان الجزء السادس المفقود يحوي على جميع بقية الأسماء من السين الى الياء .
 ولذلك بت أعتقد ان كتاب النبات ينتهي بانتهاء الجزء السادس ، اي ان
 الكتاب مؤلف من الأجزاء الستة الكبار التي ألع إليها البغدادي في خزانة
 الأدب . ومن الأدلة على ذلك قول أبي حنيفة في آخر باب القسي والسهام
 (ص ٧٢) : «وقد أتينا ، فيما قدّمنا من أبواب كتابنا هذا ، على ما استحسننا
 تقديم ذكره ، قبل ذكر النبات نبشاً نباتاً ، فلم يبق إلا ذكر أعيان النبات .
 ونحن آخذون في تسميتها ، ومحلوكل واحد منها بما انتهى اليها من صفته أو شاهدناه .
 وإن كان في شيء من ذلك اختلاف ، مما ينبغي أن يذكر ، ذكرناه ان شاء الله» .

ما هي أبواب كتاب النبات ؟ لقد دلنا الجزء الخامس من الكتاب

على مشتملات جزئه السادس والأخير ، وهي كما قلت أسماء أعيان النبات من
 السين الى الياء . أما مشتملات الأجزاء الأربعة الأولى فما برحت غير معروفة
 على الضبط . ولا نعرف أيضاً محتوى كل جزء منها على حدة . وقد حاولت
 أن أستخرج من نضاعيف الجزء الخامس ما أمكنني العثور عليه من أسماء أبواب
 تلك الأجزاء الأربعة ، فحصل عندي منها أربعة عشر باباً ، ذلك بأن أباحنيفة ،
 عندما يذكر بعض النباتات في الجزء الخامس ، يقول انه وصفها أو فسرّها أو
 أمعن في شرحها في باب كذا وكذا من الأبواب السابقة . وكل هذه الأبواب

جاءت في الأجزاء الأربعة الأولى . فعندما يذكر الخنطة مثلاً يقول (ص ١٧٣) :
 « وقد وصفناها وصفاً بليغاً في باب الزرع » . وعندما يتكلم على لفظة البقل
 في ص ١٢٤ يقول : « وقد فسرنا ذلك في باب تجنيس النبات ^(١) » وهكذا .
 والأبواب الأربعة عشر التي عثرتُ عليها هي : باب النخل ، وباب الكرّم ،
 وباب الزرع « وفيه بحث القطاني » ، وباب الأصباغ أو باب ما يُصبغ به من
 النبات أو باب ما يُختضب به ويُصبغ من النبات ، وباب تجنيس النبات ،
 وباب وصف النبات العام له ، وباب العشب العام له « ولعلها باب واحد » ،
 وباب النبات الطيب الريح « وقال مرةً الرائحة بدلاً من الريح » ، وباب
 اللّشأ والصّموغ ، وباب الكمّانة ، وباب جماعة الشجر « او جماعات الشجر » ،
 وباب أوصاف الشجر العامة ، وباب الزّناد والنيران والأدخنة ، وباب النبات
 الذي يُتخذ منه الحبال والأرشيّة .

وقد نقل ابن سيده الى المخصص عدداً كبيراً من الأسماء الواردة في هذه
 الأبواب ، وعزاها الى أبي حنيفة :

ولاشك ان في أضعاف الأجزاء الأربعة المفقودة أبواباً أخرى لم يرد ذكرها
 عرضاً في الجزء الخامس . ففي باب الخمر من المخصص مثلاً ، وهو باب طويل
 (المخصص ج ١١ ص ٧٢ - ١٠١) كلام كثير منقول عن أبي حنيفة . ولا بد
 ان يكون ابن سيده قد نقله من أحد الأجزاء الأربعة لكتاب النبات .
 وكذلك قل في مواضع المخصص المتعلقة بأشكال الأراضي وبالمياه والوديان
 والمفارس والمزروعات والحراثة والمراعي والخصب والجذب والكلاّ والأنهار والعيون
 والقنبيّ وغيرها مما امتلأت بأسمائها صفحات المخصص ولا سيما في جزئه التاسع

(١) يُفهم من تجنيس النبات تصنيفه على حسب قسّمه ، أو على حسب استعماله
 أو غير ذلك ، كأن يكون النبات بقلاً أو جنبة أو شجراً ، أو ان يكون من
 الحنص أو الخدّة ، أو من الأحرار أو الذكور النح .

والعاشر والحادي عشر . فثبت من تلك الأسماء التي عزاها ابن سيده الى أبي حنيفة إنما هي مقتبسة من أبواب الأجزاء الأربعة من كتاب النبات ، لأنه ليس لأبي حنيفة ، على ما نعلم ، كتاب غيره في هذه الموضوعات . وعزائونا عن ضياع معظم أجزاء كتاب النبات كون أصحاب المخصص واللسان والقاموس والتاج قد نقلوا كثيراً من محتوياتها الى معجماتهم ؛ ولكن هيهات ان يكونوا قد نقلوا جميع صفات بعض النباتات ، وجميع الأبيات الشعرية المنصلة بها . فرب نبات ملأ الكلام عليه صفحتين أو أكثر من الجزء الخامس لم يذكر في المعجمات في أكثر من سطر أو بضعة أسطر . ثم هناك الرواة الذين روى أبو حنيفة عنهم ، وعلاء اللغة الذين نقل عن كتبهم ، والأدباء والشعراء والرحالة الذين استشهد بأشعارهم ، فمعظمهم يظنون مجهولين عندما يكتبني أصحاب المعجمات بقولهم « قال أبو حنيفة » .

لغة كتاب النبات : رأيتُ أبا حنيفة يَمَيِّزُ الفصيح من الضعيف ،
والعربي من المعرب ، والنبات الذي منابته بلاد العرب من النبات الذي منابته
البلاد الأجنبية . في مادة الأثرُجُ مثلاً (ص ١٠٤) يقول : والنثرُنجُ
لغة في الأثرُج رديئة . وفي مادة أرزُ (ص ١٠٨) يقول : « أرزُ » ،
ويقال بالفتح ، والأصمعي بأباه ؛ ورُنزُ لغة رديئة . ثم في مادة رُنزُ
هذه (ص ٢٢٩) يكرر قوله : « رُنزُ لغة في الأرزُ » . ويقولون في
الأثرُجُ ثُرُنَجُ . وكل هذا قبيح مرغوب عنه . وفي مادة رِيهَنان
(ص ٢٢٧) قال : « زعم بعض الرواة ان الزَّعْفَران يقال له الرِّيَهَنان
ولم أجده معروفاً » .

وجعل الخَلَسَنَج والبَطِيخ والباذنجان والجوز والجزر والجلل والبَهْرَاج
والبنديق والكُرْكُم وغيرها من أصول فارسية ، ولكنها جرت في كلام العرب .

وعندما ذكر الحَبَّاقا في ص ١٦٨ قال : « لغة حَبَّيريه ، وهو الحَسَنَدُ قُتُوسِ ، وهذه نَسَبَطِيَّة ، وهي في العربية الذَّرَقِ » .

وفي كلامه على الزعفران ص ٢٣١ قال : « الزعفران معروف ، لا أعرفه بنبت بشي من أرض العرب . وقد كثر مجيئه في كلامهم وأشعارهم . قال أبو النجم . . . وقال آخر . . . ومن أمثاله الكُرُّ كُم وهو فارسي ، وقد جرى في كلامهم . . . وهو الجادري والجَسَاد والجَسَد » .

وقال في البَقَم (١) ص ١١٣ : « البَقَم شجر عِظَامٌ أحمر يُصْبَغ بطبيعته ، وليس في شجر بلاد العرب ، وإن كان قد كثر مجيئه في أشعارهم ، ولكنه من نبات أرض الهند وأرض الزنج . وقد وصفناه في باب ما يُصْبَغ به من النبات . . . » .

ولم ينس ذكر اختلاف النطق ، أو الاختلاف في التذكير والتأنيث لدى مختلف القبائل ، فقال في النَّسَم مثلاً ص ١٢٨ : « وأهل الحجاز يؤنثون النَّسَم وأشباهه ، فيقولون هذه النمر . وأهل نجد وتميم يذكرونه ، وكذلك البُسَم والشعير والنَّسَجَل ونحوه » .

وإذا لم يسمع بتحلية نبات أقر بذلك . ففي مادة الجُدَّة ص ١٥٢ يقول : « ولم أسمع لها بتحلية » .

هذه بعض الأمثلة . ويطول بنا نفس الكلام إذا ما رحنا ننتبع أقواله المفيدة في هذه الأمور . وقد بدت لي ملاحظات على كلمات في صلب اللغة . فراجع كلمة جلبان مثلاً في اللسان والقاموس والتاج والمخصص فانك لا تراها مرسومة الا على شكل

(١) اسمه الفرنسي Campêche واسمه العلمي Hæmatoxylyon Campechianum

وهو شجر من القرنات الفراشية . وهو غير البَقَم بياض موحدة مضومة . وهذا هو جَوْز مايل أي Datura metel من الباذنجانيات (عن معجم الألفاظ الزراعية من تأليفي) .

جُلْبَان وجُلْبَان . والمشدّد في الأولى هي الباء . على حين ان ابا حنيفة ذكر في مادة الحَرْفَسَى ص ١٩٧ ان الحرف المشدد هو اللام لا الباء ، خلافاً لما رسموه . قال : « الحَرْفَسَى معرب وأصله فارسي ، من القَطَافِي » ، وهو الحب الذي يُسمى الجُلْبَان ، اللام مُشَدَّدَةٌ وربما خَفَّفْتُ ، ولم أسمعها من الفصحاء الا مُشَدَّدَةٌ . واسمه بالفارسية الحُدَّر والحَرْفَسَى . ولم يصرح أبو حنيفة في مادة جلبان نفسها بحرفها المشدد . بل اكتفى بقوله : « ولم أسمعها الا بالتشديد » ، وما أكثر من يخففه ، ولعل التخفيف لغة . وربما كان تشديد الباء لغة ذكرها غير أبي حنيفة من القدماء وهو ما أجعله ، ولكن بما لا ريب فيه ان الحرف المشدد عند أبي حنيفة هو اللام لا الباء ، على ما جاء صريحاً في مادة خَرْفَسَى . وصرح الزبيدي ، في كلامه على المادة المذكورة في التاج ، بأن الحرفي الجلبان بتشديد اللام ، ومع هذا لم يشدد الا الباء في شرحه لمادة جلبان نفسها . وراجع في اللسان كلمة أقحوان (مادة قح) تجد ابن منظور يقول : « ٠٠٠ وقد حَكَمِي قُحُونٌ » ، ولم يُرَ الا في شعر ، ولعله على الضرورة . أما أبو حنيفة فلم يقصر صحة القُحُون على الشعر أو على الضرورة بل قال ص ٩٦ : « وقال الفَرَّاء اذا ألحقوا الألف واللام قالوا الأَقْحُون والقُحُون وأنشد : خَضِرَاءُ بِشَبِّهِ بَرْدُهُ وَبَيَاضُهُ بِالشَّلْجِ أَوْ بِمَنَابِتِ القُحُونِ » . وواضح أن البيت للاستشهاد لا لقصر استعمال القحوان على الشعر . ونحن في الشام ، ولا سيما في لبنان وجبل الشيخ ، ما يرحنا الى اليوم نستعمل كلمة القحوان ونطلقها على نوع من البهار اسمه العلمي Anthemis cotula ^(١) .

(١) كانت العرب تطلق الأَقْحُون على أنواع نباتية من جنس البهار Anthemis منها البابونج A. nobilis ، وعلى انواع من جنس Chrysanthemum وهو الجنس الذي له انواع وأصناف كثيرة تزرع زهرها وتسمى الأراولة في مصر وزهرة القريب في دمشق . وقد أطلقت في مجيئ اسم الأَقْحُون على هذا الجنس تعدياً فُرسى ، وصارت الجمية الملكية الزراعية في مصر مثلاً لاسمي معرض هذه الأزهار « معرض الأفاعي » .

وبتضح من ذلك ان هنالك مجالا واسعا للبحث عن صحة كثير من الألفاظ التي وردت على شكل ما في الجزء الخامس من كتاب النبات ثم وردت في الأسماء من المعجمات على شكل آخر . ومن المعلوم ان كتاب النبات هو المرجع والحجة في ألفاظه . ولم يطمئن أحد في صحة تلك الألفاظ ، الا علي بن حمزة البصري ، فان له كتاباً اسمه التنبيهات على أغلاط الرواة «أو أغاليط الرواة» ، قال البغدادي في ص ٣٦ من الطبعة السلفية ، انه ذكر فيه أغلاط نوادر أبي زياد الكلابي ، وأغلاط نوادر أبي عمرو الشيباني ، وأغلاط النبات لأبي حنيفة الدينوري ، وأغلاط الغريب المصنف لأبي عبيد ، وأغلاط إصلاح المنطق لابن السكيت ، وأغلاط الجهرة لابن دريد ، وأغلاط الحجاز لأبي عبيد ، وأغلاط الفصح لشعبل ، وأغلاط الكامل للمبرد وغير ذلك . قلت يلوح لي ان كتاباً يتناول بالنقد ألفاظاً لجميع هؤلاء الأئمة ، لا يصيب كتاب النبات منه الا رشاش ضئيل ، وسيظل كتاب النبات أهم مصدر للأسماء النباتية الصحيحة .

تحلية النبات وذكر الأصناف الزراعية : ابس كتاب النبات في

الحقيقة كتاباً في علم النبات ، ولا في زراعة النبات ، بل هو سفر في لغة هذا الفرع من المواليده ، أي في أسماء أعيان النبات ، وفي الألفاظ التي لها صلة بالنبات ، مع تحقيق صحة الصحيح منها ، والاستشهاد على صحته بما كتبه أئمة اللغة وغول الشعراء قبل أبي حنيفة ، وبما سمعه أبو حنيفة من أفواه الموثوق بكلامهم من معاصريه ، ولا سيما الأعراب . فاللغة إذن هي الأساس في هذا الكتاب ، ولكن ليست جميع النباتات مشهورة ، ولذلك رأينا أبا حنيفة يحلي بعضها تحلية حسنة . ورأينا بذكر أصناف بعض النباتات الزراعية ويحليها أيضاً . ومن الطبيعي القول بأن هذه التحلية بسيطة لا تتجاوز بعض الصفات الخارجية للنبات . ومع هذا فهي ليست بالشيء القليل ، ولا سيما في تلك الأيام البعيدة . فهو يصف

الرُّفَّعَ مثلاً بما يلي ص ٢٢٩ : « رُفَّعٌ الواحدة رُفْعَةٌ . أخبرني أعرابي من أهل السُّرَاة قال : الرقمة شجرة عظيمة كالجَوْزَةِ ، ساقها كساق الدُّلْبَةِ ، ولها ورق كورق القَرْع ، أخضر فيه صبهة يسيرة ، ولها ثمر أمثال التين العظام ، كأنه صغار الرُّمَّان ، لا يثبت في أضعاف الورق كما يثبت التين ، ولكن من الخشب اليابس يَتَصَدَّعُ عنه ، وله معاليق وحملت كثير جداً الخ » .
ويصف بعض أصناف العنب مما كان معروفاً في تلك الأيام فيقول مثلاً ص ١٠٨ : « أصابع العذارى : صنف من العنب أسود طوال كأنه البَلْشُوط ، يُشَبَّه بأصابع العذارى المخضبة ، وعنقوده نحو الذراع ، مُتَداحِس الحب ، وله زبيب جيد ، ومنايته السُّرَاة . وقد وصفناه في باب الكرم » .

والإفهامي صنف آخر من العنب حَلَّاهُ بقوله ص ١٠٨ : « إفهامي » : وكذلك الإفهامي نوع من العنب عليه معول الناس ، وعنبه أبيض ، ثم يصفر أخيراً حتى يكون كالورس ، وحبه مدرج كبير ، وعنايفه مكثزة ، وماؤه كثير ، ويعتصر ويُرَبَّبُ أيضاً . وقد ذكرناه » .

ومما حلاه عدد من أصناف التين . وروى هذه التلمية عن رجل من أعراب السُّرَاة وهم ، على ما قال أبو حنيفة ، أهلُ تين . والأصناف المذكورة كالجِلْدَاسِيّ والْقِلَازِيّ والطُّبَّارِ الخ . مردها ابن سيده في المخصص صنفًا صنفًا على الترتيب نفسه ، ولكنه أوجز في التلمية ، ولم يقل أنه نقلها عن أبي حنيفة ، خلافاً لمألوف عادته (المخصص ج ١١ ص ١٣٧ و ١٣٨) .

وبتضح من هذه الأمثلة أن أبا حنيفة بذل جهده في التعرف ببعض أنواع النبات وبعض الأصناف الزراعية التي كانت تزرع في أيامه ، وكل ذلك بلغة غاية في البلاغة . ولا شك أن الأعراب في ذلك الزمن كانوا دقيقي الملاحظة ، وصّافين لما يحيط بهم من أحياء وجمادات . ولذلك جاءت تلميحاتهم لبعض النباتات سائقة حتى في عصرنا هذا .

الأدب في كتاب النبات : من المعروف أن أبيات القدماء من

الشعراء كانت تأخذ من الحجج التي يستشهد بها علماء اللغة على صحة لفظ من الألفاظ . وكتاب النبات آية في هذا الباب . فالأبيات الشعرية التي ورد ذكرها في الجزء الخامس كثيرة جداً . وإذا كانت قد وردت على هذه النسبة في بقية الأجزاء بكون في الإمكان أن يؤلف منها ومن شرحها سفر عظيم في أدب النبات وما إليه . وجميع تلك الأبيات الشعرية من نظم شعراء الجاهلية وصدر الاسلام . وهما كم بعض الأمثلة على ورود الشعر في معرض الكلام على النبات :

ففي الكلام على الأفيثونان ص ٩٥ يقول : « الأفيثونان ، والواحدة أفيثوانة ، والجميع الأفيثاني بالتشديد ، والأفيثاني بالتخفيف ، قال ذو الرثمة في التشديد ، ووَصَفَ نساءً :

تَبَسَّمْنَ عَنْ نَوْرِ الْأَفْيَاقِيِّ فِي الثَّرَى
وَفَتَّرْنَ مِنْ أَبْصَارِ مَضْرُوجَةٍ نُجَلِّ

وقال أيضاً في التخفيف :

تَبَسَّمَ لَمَحُ الْبَرْقِ عَنْ مَبْوَضِّحٍ
كَنُورِ الْأَفْيَاقِيِّ شَافَ أَلْوَانَهُ الْقَطَرُ

وقال ابن لامي : بين أفاح وخزامى وخضير .

ثم نقل بعد هذا كلام الفراء في الفيثونان وهو ما سبق لي ذكره الخ . ولا يظنن أنه اقتصر ، في ذكر الشواهد الشعرية ، على النباتات المعروفة التي لها زهر أو ثمر جميل . فتمت نباتات عديدة بيرة لا يخطر ببال أحد أنه يقال في مثلها شعر ، ومع هذا فهو قد روى للشعراء فيها أبياتاً من الصعب العثور عليها في كتب الأدب القديمة المطبوعة ، أو البحث عنها هنا وهناك في ما لم يضع

من دواوين القدماء من شعرائنا . وربما كانت كتب اللغة والأدب المعروفة قد خلت من كثير من تلك الأبيات .

فالنبات المسمى بالبَلَسْكَاه مثلاً هو الذي نسميه بالعامية «دُبَيْقَة» ، وفصيحه اللّصْبَقِي ، وهو مضر ينبت عراضاً في الحقول وحواشيها ، واسمه العلمي Galium aparine من فصيلة الفُؤُوتَات . وأشهر ما فيه ثماره ، فمن صفار كروية عليها أببرات معقوفة . فإذا مست ثوب الانسان انفصلت عن النبات ولصقت بالثوب . فأبو حنيفة قال في البلسكاه ص ١٢٣ : « ذكر بعض الرواة أنه نبات يتعلق بالثوب فلا يكاد يفارقه وأنشد :

تُخَبِّرُنَا بِأَنْكَ أَحْوَذِي وَأَنْتِ الْبَلَسْكَاهُ بِنَا لَصُوقاً .

قلت من معاني الأحوذى السريع في السير وفي كل ما أخذ فيه وأصله في السَفَر . فالذين يعرفون البلسكاه في البساتين والحقول بدركون على الفور مقدار ما في هذا البيت من سخريّة . وفي اللسان أن هذا البيت للعَبَيْثَل وفيه يُخَبِّرُنَا بدلاً من تخبرنا .

والبَرْدِيّ نبات مائي مشهور اسمه العلمي Gyperus papyrus وكان له شأن ولا سيما لدى المصريين الأقدمين . وهو نباتياً عشبة كالوز لا شجرة . ولكن ساقه المشقة العربية تبلغ ثخن الذراع ، وتعلو مترين أو أكثر ، وفيها شحمة أي لب كانوا يأكلونه أو يصنعون منه فتائل للسُرُج والمشاعل . ويظهر أن شعراءنا القدماء كانوا يعجبون بسُوق البَرْدِيّ ، وأنهم كانوا يشبهون بها صيقان الحسان من النساء ، ولذلك بعد أن يصف أبو حنيفة البردي وصفاً حسناً (ص ١١٢ و ١١٣) يقول : ان ساق البردية هي كأحسن ما شُبّهت به سوق النساء ، ثم يأتي على ذكر ستة أبيات من الشعر لستة شعراء ، وكلها في هذا المعنى . وأولها لابن ميادة وهو :

وساقان كالبَرْدِيَّتَيْنِ غَدَاهما

بِرْدِيّ الْفَرَى نَهْرٌ تَدِبُ جَدَاوِلُهُ

ولست كل الشواهد اشعرية المتصلة بشق النباتات مما يُدرج في باب الغزل .
ففي تضاعيف الكتاب أبيات يمكن إدراجها في جميع أبواب القريض . ولكن
الوصف هو السائد ، لأن في حياة القبائل في الجزيرة مجالاً لذكر النبات في
أغراض كثيرة وصفاً وتشبيهاً .

مراجع الكتاب : لم يأت أبو حنيفة الدينوري بكتابات من عنده ،
أي أنه لم يضع اسماً لنبات ولا جزء من نبات . ومعظم الأسماء والأفعال التي
أثبتها في كتابه ، سواء أكانت عربية أم معربة أم مشتقة ، قد عراها إلى
من سبقوه من علماء اللغة ، أو إلى الذين وثق بكلامهم من الأعراب ، أو إلى
الشعراء الذين ذكروا تلكم الكلم في شعرهم ، وصحّ عنده الاستشهاد بها .
ولكنه في كل ذلك يبرز شخصيته القوية فيرجّح الراجح ، ويقبّح القبيح ،
ويسقط المرذول من الكلام .

فهو يقول مثلاً : قال الأصمعي ، وقال أبو عبيدة ، وأخبرني أعرابي من
ريّة أو من عنزة أو من بني أسد أو من أهل السراة أو من أعراب
عُمان ، وقال بعض علماء الأعراب ، وسمعت بعض الجانية يقول وهم جرا .
وهاكم ثلاثة أمثلة :

الأول في الكلام على الجرجير ص ١٤٠ قال : « . . . وقال الفراء
تخفف جرجير فيقال جرجير . ويقال لها الكسنة . وسمعتها من الأعراب
غير مهموزة » .

والثاني في الكلام على الدُّجْر ص ٢١٠ : « الدُّجْر اللّثوباء - وبعضهم
يقول الدُّجْر - والواحدة دُجْرية . وزعم بعض الرواة أنه يقال له الثامر ،
ولم أر ذلك معروفاً . وقال أبو زياد هو اللّثوباء ، وقال كذا تكلم به العرب . . . »
والثالث في الكلام على الرُّند ص ٢١٨ : « يذهب قوم إلى أنه الآس
وأنكر أبو عبيدة ذلك وقال « . . . » .

وبتضح من ذلك ان طريقته هذه لا تختلف عما كان متبعاً في ذلك الزمن ،
ولا عما اتبعه أصحاب المعاجم من بعده وذكروا اسمه كثيراً في أسانيدهم .
وعلماء اللغة الذين نقل أبو حنيفة عنهم كثيرون العدد منهم الأصمعي وأبو عبيدة
وابن الأعرابي وأبو زيد والكسائي والفرّاء وأبو نصر والبزدي واللحياني
وأبو زياد الأعرابي وغيرهم . وقد أكثر النقل عن أبي زياد ، وذكر اسمه ونسبه
عند ذكره لأول نبات من النباتات التي رتب أسماءها على حروف المعجم وهو
الأراك (ص ٧٥) فقال : « ٠٠٠ قال أبو زياد الأعرابي يزيد بن عبد الله
الكلابي أحد بني عبد الله بن كلاب بن ربيعه بن عامر بن صعصعة :
الأراك من الأعضاء ٠٠ الخ »

أما الشعراء والرحّاز الذين استشهد بشعرهم فهم كثير ، منهم لبيد
والأعشى وامرؤ القيس وعديّ بن زيد وطرفة والناطقة الذباني والأخطل
والراعي وجبرير والفرزدق والمرفّش وذو الرمة وعنترة وأوس بن حجر
وعلقمة بن عبدة والطيرمّاح وأبو النجم والعجاج وحسان وكعب بن زهير
وابن ميادة وأحينة بن الجلاح وقيس بن الخطيم وعمرو بن كلثوم
وكثير بن عبد الله بن هرمه والشمّاخ والجمعي والخطيب والنسّير بن توكّيل الخ .

الخلاصة : لقد عاش أبو حنيفة الدينوري ، رحمه الله وطيب ثراه ، في
العصر الذي ضُبطت فيه اللغة العربية ، وازدهرت آدابها ، ونُقلت إليها علوم
الأقدمين ووسّعت وصُبّغت في ثقافة عربية كانت في تلك الأيام أشمل
الثقافات وأوسعها في العالم كله . ولا شك أنه كان من أبرز العلماء الذين بنوا
ذلك الصرح اللغوي والعلمي الشامخ الذي

وهو لم يكن في علم النبات من طبقة ابن الصوري وابن البيطار مثلاً ،
ولكنه كان متفوقاً عليهما وعلى غيرهما من المتقدمين والمتأخرين بمعرفة أسماء أعيان

النبات ، وأسماء أجزائها المختلفة ، وأسماء ماله صلة بها ، مع تمييز بين الفصيح والمولّد ، والعربي والمعرّب ؛ يضاف الى ذلك دقة وأمانة في النقل عن سبقوه ، وفي الأخذ عن الأعراب ، سواء في تسمية النبات ام في تحليلته .

والرجل الذي استطاع أن يصنف في مختلف علوم عصره ، بذلك البيان المشرق ، والذي أجمع أصحاب كتب التراجم على جملة صادقاً وثقة فيما يرويه ويحكميه ، خلّيق بالنعمة الذي نعلمه به صدّيق الزركلي صاحب قاموس الأعلام مذ قال فيه انه نابغة من نوابغ الدهر .

ولقد كنتُ مزعماً على تحقيق الجزء الخامس من كتاب النبات ونشره ، على أن أذكر الأسماء العلمية لمعظم ما حواه من أعيان النبات ، وان أذكر أيضاً بالفرنسية ترجمة عدد من أسماء أجزاء النبات ، وأن أشرح علمياً ما يحتاج الى شرح ؛ ولكنه اتصل بي ان لجنة التأليف والترجمة والنشر في القطر المصري الشقيق قد انفتحت هي والدكتور محمد حميد الله الهندي على تحقيقه ونشره ؛ ولذلك أجمعتُ لكي لا يتكرر العمل دونما فائدة -

وباليت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، التي يرجع اليها الفضل في العثور على هذا الجزء من الكتاب ، تفتش في كل مكان عن بقية أجزائه المفقودة ، فانه بتيسر لها من وسائل البحث والتفتير ما لا يتيسر لكثير من الأفراد والجماعات .

مصطفى الشهابي



مصطلحات ابن خلدون

لا شك في أن ابن خلدون كان له فضل عظيم على أكابر الكتاب في أوائل هذا العصر ، فإن الذين أجروا أقلامهم في موضوعات الاجتماع رجعوا اليه في الاستعانة بطائفة من ألفاظه وتراكيبه فهو الذي هدام إلى كلمات الحضارة والمدنية والكماليات والضروريات وما شابه ذلك وهو الذي أرشدهم إلى التراكيب الآتية :
التوسع في مذاهب الحضارة واستفحال العمران وما مثلها ، ولكن المهم أن نعرف هل اخترع ابن خلدون هذه المصطلحات التي دلت على المعاني الحديثة أم أنه وجدها جارية على أقلام من تقدمه من الكتاب فاستعملها على وجوهها دون شيء من التحويل ؟

لقد مضت لابن خلدون في مقدمته عبارات دلت على الموضوعات التي عالجها وهي في رأيه علوم غريبة وحكم محجوبة قريبة ، ثم مضت له عبارات دلت على شعوره بابتكار علم العمران ، فإنه يقول :
اعلم إن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة
أعثر عليه البحث وأدنى إليه الغوص .

ويقول في موضوع آخر :
لعمري ، لم أقف على الكلام في مناه لأحد من الخليقة .
ويستمر في هذا النحو فيقول :
ونحن ألهمنا الله إلى ذلك الهاماً ، وأعثرنا على علم جعلنا سن بكره
وجبيته خبره .

أكتفي بهذا المقدار من الاستشهاد للدلالة على شعور ابن خلدون باختراعه

علم العمران ولست أرمي في هذا المقال الى الخوض في هذا الاختراع فقد خاض فيه كثير من رجال هذا العصر وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين والأستاذ عبدالله عنان والدكتور كامل عياد والدكتور صبحي المحمصاني وآخر من درس ابن خلدون دراسة مبنية على أصول علمية انما هو الأستاذ ساطع الحصري ، فالذين يهمهم هذا الأمر يستطيعون ان يرجعوا الى كتابات هؤلاء الأساتذة فموضوعي غير موضوعهم ، وخاطري غير خاطرهم .

أحاول في مقالي هذا المختصر ان أصل الى النتيجة الآتية : هل اخترع ابن خلدون مصطلحات العلوم الغربية والحكم المحجوبة القريبة أم سبقه اليها السابقون . انا نعلم ان العلوم المستحدثة والمذاهب الجديدة تستلزم الفاظاً وتراكيب حديثة وأقرب مثل منا انما هو الاسلام فقد جاء الله بالاسلام وجاءت بمجيئه الفاظ نقلت من مواضع الى مواضع في اللغة لا مجال الى ذكرها في هذا المقام فقد اشار اليها أئمة اللغة في كتبهم وفي جملتهم ابن فارس في كتابه الصحاح ، وسميت هذه الألفاظ : الألفاظ الاسلامية وما جرى في هذا الباب جرى في غيره من الأبواب مثل النحو والتصريف والشعر والعروض وغير ذلك ، كانت هذه الأبواب كلها تسعى في القديم علوماً وضع لها اصحابها ألفاظاً دلت على موضوعات علومهم ، وثبتت هذه الألفاظ على وجوها حتى يومنا هذا فلم يعمد زمننا الذي نعيش فيه على شيء من الألفاظ الاسلامية كالمؤمن والمسلم والكافر والمنافق وأشباهها فقد احتفظت هذه المصطلحات بأصول معانيها لأن الاسلام لا يزال ثابت الأركان فلم تتحول ألفاظه من وجه الى وجه .

وما جرى على ثبات الألفاظ الاسلامية جرى على ثبات الفاظ بعض العلوم فلا تزال في التصريف والنحو نستعمل الفعل والاسم والحرف والاعراب والبناء وغير ذلك من المصطلحات لأن النحو لا يزال ثابت الأركان ، اختلف آراء

اهل البصرة والكوفة وبغداد في بعض قواعده ولكن اركانه لم تتضعع ولهذا بقيت الفاظه ثابتة تدل على أصول معانيها .

وما نظن ان الأسماء تنقل في اللغة من مواضع الى مواضع ، أي تتحول معانيها إلا اذا تحوَّلت أصول هذه المعاني فالاسلام لا يزال اسلامًا والنحو لا يزال نحوًا ولهذا بقيت لفتها على حالها .

أجتزئ بهذا المبلغ من التمهيد وأمرع الى الخاطر الذي خطر ببالي : هل اخترع ابن خلدون مصطلحات العلوم الغربية .
كيف خطر ببالي هذا الخاطر .

لما شرعت في دراسة أدبنا من خمس وثلاثين سنة كنت أدون في دفاتري الخاصة طائفة من كلام رجاله ومن جملة هذا الكلام المدون عبارة لابن خلدون وهذا نصها :

آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش ومالا بذرله وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحززون والصدف ولم يوجد لها الا قوة اللمس فقط واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى في تدرج التكوين الى الانسان صاحب الفكرة والروية وكان ذلك اول أفق من الانسان .

ويستمر ابن خلدون في تدرج الانسان حتى يصل به الى أفق الملائكة . . . هذه عبارة وجدتها مدونة في دفاتري من أول نشأتي على الأدب ، حفظتها على الأيام فلم تذهب عن ذهني ثم عادت الي في هذا الوقت فأحيت ان اعرف . . . اخترع ابن خلدون هذه الألفاظ والتراكيب ، وما كنت أفكر هذا التكمير من خمس وثلاثين سنة لأن دراستنا الأدبية لم تفتح أذهاننا للتمعق في دراسة الألفاظ وتسلسلها على النحو الذي نجري عليه في هذا العصر .

ان عبارة ابن خلدون التي استشهدت بها تدل على مذهب في الفلسفة مشهور ، أصحاب هذا المذهب « لامارك » و « داروان » و « سبنسر » كان الفلاسفة في القديم يعتبرون ان انواع الحيوان تتخلق لمرة واحدة فلا تتغير خلقتها ولم يشذ عن هذا الاعتبار الا ابيقور والأيقوريون فلما جاء الفلاسفة الذين أشرت اليهم نقضوا هذا الاعتبار وقالوا ان المادة استجالت في صدر الأمر الى النبات ثم الى الحيوان الأدنى ثم الى الحيوان الأعلى ثم الى الانسان وجدنا الأول انما هو السحك واذا ذهبنا الى أبعد من ذلك فوجدنا الأول النبات .

جالت هذه الفكرة في القرن الثامن عشر في ذهن الفيلسوف الفرنسي « لامارك » ثم وضحا « داروان » أكل توضيح ثم عرضها « سبنسر » عرضاً جديداً واستخرج منها نتائج في الفلسفة العامة وقد سمي أصحاب هذه الفكرة مذهبهم : التطور ^(١) .

هذا هو المذهب الذي أشار اليه ابن خلدون في عبارته ، فهل اخترع ابن خلدون هذا المذهب وهل اخترع الفاضل :

لم يسم ابن خلدون هذا المذهب « تطوراً » لأن لفظ التطور انما هو من مستحدثات هذا العصر ، ولكنه سماه اسماً آخر واذا رجعنا الى شرح هذا المذهب استطعنا ان نهتدي الى هذا الاسم ، فقد قال في خلال بسطه للمذهب : ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب ان يصير أول أفق الذي بعده ...

فالمذهب الذي شرحه ابن خلدون مباح : الاتصال وهذا العصر يسميه التطور ، والاتصال والتطور في معناهما الفلسفي شيء واحد ، لأن أصل الأمر فيها استجابة المادة الى النبات ثم الى الحيوان ثم الى الانسان وقد اتفق ابن خلدون وفلاسفة التطور على هذا الأصل .

(١) « فاكه » في كتابه : المدخل على الفلسفة .

والآن نرجع الى السؤال الذي سألناه : هل اخترع ابن خلدون هذا المذهب وهل اخترع الفاظه ؟

اني لا أعنى في هذا المقال بالشق الأول من السؤال فإني لا أعنيهم هذا الأمر يريدون سبيلاً الى التحقيق في الرجوع الى الفلاسفة الذين ظهروا قبل ابن خلدون ، ثم في الرجوع الى فلاسفة الاغريق ، فإذا فعلوا هذا وصلوا الى ما يريدون ، وإنما أعنى بالشق الثاني من السؤال : هل اخترع ابن خلدون الفاظ مذهب الاتصال او التطور ؟

لا نستطيع ان نجد الجواب عن الذي نسأل عنه الا اذا رجعنا الى الكتاب الذين تقدموا ابن خلدون وجالوا بحاله .

ذكرت كتب التاريخ ان ابن خلدون توفي سنة ٨٠٨ فلنرجع الى كاتب توفي سنة ٦٨٢ وهو القزويني صاحب : عجائب المخلوقات ، بقول في بعض كتابه : فان المعادن متصلة اولها وآخرها بالنبات ، والنبات متصل اوله بالمعادن وآخره بالحيوان ، والحيوان متصل اوله بالنبات وآخره بالانسان ، والنفوس الانسانية متصلة اولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية .

نحن نرى من كلام القزويني ان المذهب الذي أشار اليه ابن خلدون وهو مذهب الاتصال قد ذكره القزويني قبله بمخالفته ، وذكر ألفاظه ، فستنتج من ذلك ان القزويني سبق ابن خلدون الى فكرة الاتصال وألفاظها .

واذا تركنا القزويني واتخذنا الى ابن الطيفل وقد توفي سنة ٥٨١ وجدناه في كتابه : حي بن يقظان يشير الى مذهب « التطور » ولكننا نتخطاه لأن غايته الاهتمام الى الألفاظ التي استعملها ابن خلدون ، لا الى الفكرة التي وضحها . ثم اذا تركنا ابن الطيفل ورجعنا الى ابن مسكويه وقد توفي سنة ٤٢١ وجدناه في كتابه : تهذيب الأخلاق يشير الى مذهب الاتصال نفسه والى ألفاظه .

ذكر ابن مسكويه مراتب الجماد والنبات والحيوان وقد استعمل فيها لفظ الأفق فقال : فلذلك هي في أفق الجمادات ٠٠٠ ثم قال : ويصير في أفق الحيوان ٠٠٠ وكذلك استعمل الاتصال فقال في مراتب الأفق الانساني : وأول هذه المراتب من الأفق الانساني المتصل بآخر ذلك الأفق الحيواني مراتب الناس ٠٠٠٠٠

من كل ما تقدم نستنتج ان الفاظ مذهب الاتصال او التطور التي استعملها ابن خلدون كانت مستعملة قبله ، فهو لم يخترعها اختراعاً وانما اقتبسها اقتباساً ، وقد يصعب علينا الوقوف على اول من اخترع هذه الألفاظ فان ذلك يقتضينا تتبع كتب الفلسفة كلها ، المطبوع منها والمخطوط ، وقد يجوز ان يكون في رسائل أخوان الصفا اشارة اليها ولسنا نريد بالاختراع وضعها وانما نريد الاصطلاح على معانيها كما اصطلاحوا على معاني الألفاظ الاسلامية والفاظ النحو والصرف والشعر والعروض وغيرها .

وقد تكون صعوبة الاهتداء الى لفظ يدل على المعنى الحديث مثل صعوبة الاهتداء الى هذا المعنى ، فاذا نظرنا الى معنى الأفق الذي استعمله ابن خلدون وابن مسكويه وجدنا هذا المعنى متسماً فالأفق في اللغة بالضم او بضميتين الناحية او مظهر من نواحي الفلك ، وهذا المعنى ضيق ولكن فلاسفة العرب لما نقلوه من معناه الضيق الى معناه الفلسفي وسعوه كل التوسيع ، فالأفق في مذهب الاتصال او « التطور » يشير الى نوع من انواع الجماد او النبات او الحيوان او الانسان مستعد للانفصال عن حال والاتصال بغيرها فالاhtداء الى هذا اللفظ ونقله من معنى الى معنى يستلزم كثيراً من البراعة .

واذا دققنا في الفاظ ابن خلدون في مذهب الاتصال تبين لنا انه استعمل

الفاظ غيره من الذين تقدموه ، من هذا النحو استعماله الترتيب ، وهو لفظ له شأن في هذا المذهب وهذا اللفظ جرى كثيراً على قلم ابن مسكويه .

ان ابن خلدون على جلالة قدره لم يخترع مذهب الاتصال ولا وضع الفاظه ومصطلحاته ، فقد ثقف علوم العصور التي تقدمته فأدركها أتم ادراك وفهمها اكل فهم ثم خصها تلخيصاً يدل على فطنة ثاقبة وعقل راجح ، واستعمل الفاظ اهلها ومصطلحاتهم ، فهل نهتدي في علم العمران الذي وضعه الى الفاظ وتراكيب استعملت قبل ابن خلدون ، كما اهتمبنا في مذهب الاتصال الى مثل هذه الألفاظ والتراكيب ؟

هذا موضوع مقال آخر

شفيق جبري



المواضع الأثرية في جزيرة العرب

موقع سوق عكاظ

هذه كلمة حاولت ان أوضح بها موقع سوق «عكاظ» ، مورداً أقوال متقدمي المؤرخين ، وواصفاً - على ضوء مشاهدتي - المكان الذي لا يخامرني شك في أنه هو موقع ذلك السوق ، ومحاولاً تطبيق تلك الأقوال على أوصاف ذلك المكان ، ومشيراً الى آراء متأخري الكتاب والأدباء ، اشارة قصدت بها اطلاع القارئ على مختلف الآراء في هذا الموضوع وان كانت تلك الآراء - في نظري - قد جانفت الصواب ، وخالفت الحق ، ولم أُكَلِّفْ نفسي عناء مناقشتها ، أو بيان ما فيها من جَنَفٍ أو خَطَأٍ ، يظهران بمقارنتهما بأقوال المتقدمين .

١ - أقوال متقدمي المؤرخين في تحديد موقع عكاظ

- ١ - قال محمد بن اسحاق (٠٠٠ - ١٥١ هـ)^(١) : كانت مجنّة بمرّ الظهران ؛ الى جبل يقال له الأصفر ، وكانت عكاظ فيما بين نخلة والطائف ؛ الى بلد يقال له الفتق ، وكان ذو الحجاز ناحية عرفة الى جانبيها .
- ٢ - وقال محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ - ٢٠٧)^(٢) : عكاظ فيما بين نخلة والطائف ، وذو الحجاز خلف عرفة ، ومجنّة بمرّ الظهران .

(١) «هفاء القرام بأخبار البلد الحرام» نسخة خطية . في مكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي رحمه الله بمكة (ص ٩٣ ج ٢) . والكتاب تأليف ابي الطيب القاسمي المتوفى سنة ٨٣٤ .
(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٠٣ .

٣ - وقال ابو عبيدة ؛ معمر بن المثنى (١١٠ - ٢٠٩) : عكاظ ^(١) فيما بين نخلة والطائف ؛ الى موضع يقال له الفتق ، وبه أموال ونخل ثقيف ، بينه وبين الطائف عشرة أميال .

أقول : للطائف من مكة اربعة طرق : طريق يمر بعرفات ، ثم بعقبة جبل كراء ، ثم بأعلى وادي قَرْن (وادي المسحرم) ثم بالطائف ، ومنه سلك رسول الله ﷺ في عودته من دعوة ثقيف الى الاسلام ، وهو أخصر الطرق وأوعرها . والثاني : يمر بمنهل حُنين (عين الشرائع) ثم يَتَجِهْ مشرقاً فيصعد عقبة دُجْنَى (وتصف في الكتب القديمة بيد حُنَى - مُجْنَى) فوادي قَرْن ، فالطائف . وكانت القوافل - ولا تزال - تأتي معه . قال أحد شعراء مكة في القرن الحادي عشر الهجري ^(٢) :

رأى صاحبي أثمار « وَج » فقال لي : تَرى هذه الأثمار تسقط أم مُجْنَى ؟
فقلت له : كلها هيناً فإنما أطايبها مُجْنَى ، وتأتيك من مُجْنَى ،
والطريق الثالث : يمر بالشرائع ، فوادي يَدْعَان (جدعان في هذا العهد) فوادي سَبُوحَة ، فقربة الزيمة ، فوادي نخلة البانية ، فقرن المنازل (السيل الكبير) فالمناقب (الربعان جمع ربيع) ثم ينحرف ذات اليمين الى الطائف . وهذا هو الطريق الرئيسي في هذا العهد ، للسيارات والقوافل . والرابع لا ينحرف بعد المناقب بل يَتَجِهْ مشرقاً حتى يَبْجُوزَ الجبال ، ويدع جبال الطائف أيمنه ، فيمر بقرب عكاظ ، ثم يأتي الى الطائف من أسفله . والمتقدمون الذين قالوا ان سوق عكاظ يقع بين نخلة والطائف ، قصدوا هذا الطريق ، ومنه سارت قريش حينما انهزمت في وقعات الفجار ، مارّة بنخلة . وقد سلكه رسول الله

(١) معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري ص ٦٦٠ طبعة باريس سنة ١٨٧٧ .

(٢) تاريخ الطائف للعجمي مخطوط .

عَلَيْهِ السَّلَامُ في غزوة الطائف فرّ بنخلة البائية ، فقرن المنازل ، فبطن المليح ، فبَحْرَة الرّغاء من وادي لَيْبَة ، فوادي نَسْجَب ، فالقَرْن الأسود ، فالطائف .
وقد حدّد الحمداني موقع الفتق فقال ^(١) : إذا استقبلت مكة وانت في الفتق وقع الطائف بينك وبين مغرب الشمس ، وقال : بين الفتق وبين المناقب اثنا عشر ميلاً ، وبين المناقب وبين قرن المنازل ستة أميال . وذكر أن الفتق قرية كانت لبني هلال فخرت . وذكر الأصمعي في الأُضْغاني (ج ١ ص ١٤٩ طبعة السامي) أن الفتق أسفل وادي العَرَج . ومعروف أن العَرَج شمال الطائف بميل قليل الشّرق .

٤ - وقال الأصمعي : (١٢٢ - ٢١٦) ^(٢) : عكاظ نخل في وادي ، بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت تقوم سوق العرب ، بموضع يقال له الأُتَيْدَاء ، وبه كانت أيام الفجار ، وكانت هناك صحور يطوفون بها ويحجّون إليها .

٥ - وقال ابن هشام (المتوفى سنة ٢١٨ تقريباً) ^(٣) : كانت عكاظ في وسط أرض قيس عيلان .

٦ - وقال الأزرقي (المتوفى سنة ٢٤٤ تقريباً) ^(٤) : وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة ، على طريق صنعاء ، في عمل الطائف ، على يريدها ، وهي سوق لقيس عيلان وثقيف ، وأرضها لنصر .

٧ - وقال محمد بن حبيب البغدادي ^(٥) (المتوفى سنة ٢٤٥) : جهار

-
- (١) صفة جزيرة العرب للهمداني طبعة دار في ليدن ص ١٨٧ و ١٩٩ .
(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٠٣ .
(٣) كتاب « التيجان » في ملوك حير ص ٢١٠ طبعة حيدرآباد (الهند) .
(٤) كتاب تاريخ مكة ج ١ ص ٢١٠ طبعة مكة .
(٥) كتاب الخبر لمحمد بن حبيب ص ٣١٥ المطبوع في الهند .

[صَنَمٌ] لهوازن بمكاظ . وقال : عكاظ بأعلى نجد ، قريباً من عرفات .
 كذا ورد في كتاب « المحبّر » - ص ٢٦٧ المطبوع في الهند - ولعله سقط
 من كتاب ابن حبيب هذا ؛ أو من أصله الذي نقل عنه - ان كان له أصل -
 كلمة (وذو الحجاز) بعد كلمة نجد ، وإلا فأين أعلى نجد من عرفات ؟ ! ومن
 الغريب أن الذين جاؤا بعد ابن حبيب ونقلوا كلامه ، نقلوه بهذه الصورة ،
 كالمزوقي في كتاب الأزمنة والأمكنة ، وإبي عبيد البكري في كتاب
 معجم ما استعجم ، والحميري في كتاب الروض المعطار .

٨ - وقال عرام بن الأصبح السلمي^(١) : والفاق جبل لبني هلال ، حذاء عُنْز .
 وحذاؤه جبل آخر يُقال له بُسْ ، وفي أصله ماء يقال له بقعاء لبني هلال ،
 بئر كثيرة الماء ليس عليها زرع ، وحذاؤها أخرى يقال لها الخدود . وعكاظ
 منها على علوة . وعكاظ صحراء مستوية ليس فيها جبل ولا علم ؛ إلا ما كان
 من الأنصاب التي كانت في الجاهلية ، وبها الدماء من دماء البدن كالأرجام
 والعظام ، وحذاؤها عين يقال لها خليص للعمرتين ، وخليص هذا رجل ، وهو
 ببلاد تُسَمَّى رُكْبَة .

٩ - وقال ابن واضح اليعقوبي (المتوفى سنة ٢٩٢)^(٢) : سوق عكاظ
 بأعلى نجد ، تقوم في ذي القعدة ، وينزلها قريش وسائر العرب إلا أن أكثرها مُخْصَر .
 ١٠ - وقال الحمداي (المتوفى سنة ٣٣٤ تقريباً)^(٣) : - بعد ان أورد

(١) في كتاب « أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما يثبت عليها من
 الأشجار وما فيها من المياه » نسخة خطية تقع في ١٨ صفحة لدى الشيخ محمد نصيف
 في جدة وقد نقل البكري وياقوت معظم هذا الكتاب في كتابيهما .

(٢) تاريخ اليعقوبي (ص ٢٢٧ طبعة العراق) .

(٣) صفة جزيرة العرب ، طبعة د. ه. ، دار في ليدن ، الصفحات ٢٦٢ ، ٢٦٤ ،

١٦٤ ، ٧١ . على التوالي .

قول عيسى بن احمد الرداي في ارجوزته التي وصف بها طريق الحج من صنعاء الى مكة ، وقد أوردت من أبياتها موضع الشاهد :

يا ناق هم الشهر بانسلاخ فأزعمى بالجد لا التراخي
عن ذي طوى ذي الحمض والسباخ قاربة للورد من «كلاخ»
مشقة من زاجر كطَاط مسهلة للخبث من «عكاظ»
تاركة «قرآن» للمناقب و «شرباً» في جنب ليل واقب

قال المحدثاني : عكاظ بمَعَكِدِ هوازن ، وهو سوق العرب القديمة . وهو لبني هلال اليوم . . . قرآن وشرب مكانان من أرض عكاظ . وهذه المواضع من الجرداء . ويضرب على مشرق جميع هذه المواضع جبل الحِضْن ، من المحبّة على يوم وكسر . ثم ضرب الناس من قرآن وشرب ذات اليسار ، فعلوا رأس السراة وهو المناقب ، وانحدروا فيها ، وسقطت بهم على قَرْنِ الحَرَض ، وهو الذي وقته النبي ﷺ لأهل نجد . وقال : وَحَضَنُ عكاظ جبل ، وفيه يقول الأعشى : كخلفاء من هَضَبَاتِ الحَضَن . وقال الراجز :

لما بدا شَعَفُ بأعلى السَّيِّ وَحَضَنُ مثلُ قَرَى الزَّنَجِي

وقال المحدثاني - أيضاً - سراة الطائف غورها مكة ، ونَجْدُها ديار هوازن من عكاظ والفتق .

١١ - وقال ابو عبيد البكري (المتوفى سنة ٤٨٧) ^(١) : عكاظ بضم أوله وفتح ثانيه وبالظاء المعجمة ، صحراء مستوية ، لا علم فيها ولا جبل ، الا ما كان من الأنصاب التي كانت بها في الجاهلية ، وبها دماء الابل كالأرحاء العظام (في نسخة خطية : الأرحال) . وكانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقاً لمكة

(١) كتاب معجم ما استعجم لأبي عبيد ص ٦٦٠ - ٦٦٢ طبعة اوردية سنة ١٨٧٧ .

في الجاهلية ، وعكاظ على دعوة من ماء يقال لها نقعاء (في الخطبة بقعاء)
 بشر لا تنكف ٠٠٠ واتخذت سوقاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة وترك
 عام خروج الحرومية مع المختار بن عوف سنة ١٢٩ إلى هلم جبراً ٠٠٠
 ويتصل بعكاظ بلد تسمى ركة ، بها عين تسمى عين خليس ، للعمرتين ،
 وخليص رجل نسبت إليه . وذكر أبو عبيدة أنه كان بعكاظ أربعة أيام ، يوم شمطة ،
 ويوم العباء ، ويوم شرب ، ويوم الحريزة ، وهي كلها من عكاظ ، فشمطة
 من عكاظ وهو الموضع الذي نزلت به قريش وحلفاؤها من بني كنانة ، بعد
 يوم نخلة ، وهو أول يوم اقتتلوا به في أيام الفجار ، على ما تواعدت عليه مع
 هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم ، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ،
 ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، واعتزت بكر بن عبد مناة بن كنانة إلى
 جبل يقال له دخنم ، فلم يقتل منهم أحد ، وقال خديش بن زهير :
 فأبلغ إن صرت به هشاماً وعبد الله أبلغ والوليد
 بأننا يوم شمطة قد أقننا عمود الدين ^(١) إن له عموداً
 ثم التقى الأحياء المذكورة على رأس الحول ، من يوم شمطة ، بالعباء ،
 إلى جنب عكاظ ، فكان لهوازن أيضاً على قريش وكنانة ، وقال خديش
 ابن زهير :

ألم يبلغكم أنا جدعنا لدى العباء خندف بالقياد

ضربناهم بطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد

فهو يوم العباء . ثم التقوا على رأس الحول ، وهو اليوم الرابع من يوم
 نخلة ، بشرب ، وشرب من عكاظ ، ولم يكن بينهم يوم أعظم منه
 فحافظت قريش وكنانة ، وقد كان تقدم لهوازن عليهم يومان ، وقيد

(١) في النسخة الخطية (المجد) بدل (الدين) وكذا في معجم البلدان لياقوت

ابو سفیان وحَرْبُ ابْنِ أُمَيَّةَ وابو سفیان بن حرب أَنفُسَهُمْ ، وقالوا :
لا يبرح رجل منّا مكانه حتى نموت ، أو نظهر ، فسمّوا العنابة ، وجعل
بلعاء بن قيس يقاتل ويرتجز :

ان عكاظًا ماؤنا فخلّوه وذو الحجاز بعدد لئن تخلّوه

فانهزمت هوازن ، وقيس كلها ، إلا بني نصر ، فلمّا صبرت مع ثقيف ،
وذلك أن عكاظًا بلدم ، ولم فيه نخل وأموال ، فلم يفتوا شيئًا ، ثم انهزموا
وقتل هوازن يومئذ قتلاً ذريعاً . قال أُمَيَّة بن الأشكر الكناني :

الاسائل هوازن يوم لا قوا فوارس من كنانة معلمينا

لدى «شرب» وقد جاشوا وجشنا فأوعب في النفير بنو أيننا

ثم التقوا على رأس الحول ، بالحريّة ، وهي حرّة إلى جنب عكاظ ،
مما يلي مهبّ جنوبها ، فكان لهوازن على قريش وكنانة وهو يوم الحرية .

١٢ - وقال الشريف الإدريسي (المتوفى سنة ٥٦٥) ^(١) : سوق عكاظ

قرية كالمدينة جامعة ، لها مزارع ونخيل ، ومياه كثيرة ، ولها سوق ، يوماً
في الجمعة (كذا) وذلك يوم الأحد يقصد إليها في ذلك اليوم بأنواع التجارات
أهل تلك الناحية ، فاذا أمسى المساء انصرف كل واحد إلى موضعه ومكانه ،
ومن سوق عكاظ إلى مدينة فهران خمس مراحل .

١٣ - وقال ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦) ^(٢) : العباءة أمم علم

لصخرة بيضاء إلى جنب عكاظ . وقال : كلاخ - بالطاء المعجمة - موضع
قرب عكاظ .

(١) كتاب « نزعة المشتاق في اختراق الآفاق » للإدريسي ورقة ١٠٢ ج ١

نسخة دار الكتب المصرية المصورة رقم ٢٦٣ جغرافية .

(٢) معجم البلدان « ج ٦ ص ١١٣ ، ج ٧ ص ٢٧١ » .

١٤ - وقال الحميري مؤلف الروض المطار^(١) : عكاظ صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل ، إلا ما كان فيها من الأنصاب التي كانت في الجاهلية ، وهي بأعلى نجد ، وقريب من عرفات (كذا) . وقيل هي وراء قرن المنازل بمرحلة في طريق صنعاء ، وهي من عمل الطائف ، وقيل هي على ثلاث مراحل من تبالة ، وسوق عكاظ قرية كالمدينة جامعة ، لها مزارع ونخيل ومياه كثيرة ، ولها سوق في يوم الجمعة ، يقصده الناس في ذلك اليوم بأنواع التجارات ، فإذا أمسى المساء انصرف كل واحد الى موضعه .

١٥ - وقال الفيثومي (المتوفى سنة ٧٢٠)^(٢) : عكاظ وزان غراب ، سوق من أعظم أسواق الجاهلية ، وراء قرن المنازل بمرحلة ، من عمل الطائف ، على طريق اليمن : وقال أبو عبيد : هو صحراء مستوية ، لا جبل فيها ولا علم ، وهي بين نجد والطائف .

هذه جملة من أقوال المتقدمين الذين تعرضوا لتحديد « عكاظ » وهي على اختلاف عباراتها متقاربة في المعنى ، بل متطابقة من حيث الجملة ، وقد لا يوجد للمتقدمين من المؤرخين من الأقوال في تحديد سوق « عكاظ » ما يخالفها .

ب - خلاصة الأقوال المتقدمة

تتلخص تلك الأقوال بأن موقع سوق عكاظ :

١ - في أعلى نجد ، فليس في تهامة ، ولا في الحجاز ، ولذلك عدّه

(١) الروض المطار ، نسخة مكتبة عارف حكمت (هـ) (الاسلام) المخطوطة في المدينة وقد وم مؤلف كشف الظنون حيناً ذكر ان الحميري هذا توفي سنة ٩٠٠ وقلّده بروكلمان ، والصحيح انه قبل هذا التاريخ ، اذ الفلشتندي المتوفى سنة ٨٢٦ ينقل عنه في صبح الأعشى . ولا يبعد ان يكون من أهل القرن السابع الهجري .

(٢) المصباح المنير ص ٤٩ ج ٢ طبعة بولاق .

ابن خُرْدَادْزَبَه في كتاب المسالك^(١) وابن رُسْتَه في «الأعلاق النفيسة»^(٢) والبكري في «معجم ما استعجم»^(٣) من مخاليف مكتة السجديّة .

٢ - وانه في بلاد قيس عيلان من مضر ، ثم في بلاد بني نَصْر بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن قيس عيلان ، وبلاد منها من مواضع لا تزال معروفة بأسمائها القديمة ، مثل (رُكْبَة - بَيْسَل - لَيْتَة) وفيه هدم رسول الله ﷺ حصن^(٤) مالك بن عوف رئيس تلك القبيلة - جلدات - بُس - فُرّان - العقبيق (ولا تزال بقية قبيلة بني نصر في مواضعها هذه ، فقبيلة « الجشمة » - وهم بنو جُشَم بن معاوية بن بكر - الذين منهم دريد بن الصمّة - منازلها الآن : فُرّان ، وعُشْبَيْرَة - في بطن العقبيق - . والعَصَمَة -^(٥) وهم خُطَاء لأولئك منذ العهد الجاهلي - في أسفل وادي لَيْتَة ، والنشْفَعَة - وهم من هوازن - في وادي كلاخ ، مجاورين لهؤلاء .

٣ - وانه يبعد عن الطائف مسافة اختلف المتقدمون في تقديرها بين عشرة أميال ، أو بريد (وهو ١٢ ميلاً) أو مسيرة يوم ، ولكن هذا الاختلاف ليس جوهرياً ، اذا لاحظنا أن الطائف لا يطلق على المدينة وحدها ، بل يشمل ما يجاورها من الأمكنة والقرى التابعة لها . وإذْنُ فتقدير المسافة في جميع تلك الأقوال صحيح .

٤ - وأنه على طريق اليمن من مكة بين المناقب وبين كلاخ - ولليجن الى مكة طريقان : تهاميّ ، يأخذ على الساحل ، وآخر يأخذ على أطراف السراة

(١) صفحة ١٣٣ طبع أوربة .

(٢) ص ١٨٤ طبع أوربة .

(٣) ص ١٩٥ طبع أوربة .

(٤) انظر في سيرة ابن هشام خبر هدمه في غزوة الطائف .

(٥) راجع كتب الأنساب ومادة «ع ص م» من تاج العروس .

ماراً ببلاد عسير ، وهو الذي يقع عكاظ فيه ، وقد وصفه عيسى بن احمد
الرداعي - من أهل القرن الثالث الهجري وحدّد مراحلہ ، وعدّد مناهله ،
وثبّن أعلامه في أرجوزته التي ساقها الهمداني في آخر كتابه « صفة جزيرة
العرب » . وحدّد الهمداني في صفة الجزيرة (ص ١٨٧) مراحل هذا الطريق ،
فقال - باختصار - : ومن بيشة بُعْطَان الى تبالة ١١ ميلاً وهي من صنعاء
على ٢٣ بربدا = ٢٨٦ ميلاً = وعرضها ١٨ درجة ^(١) وثلاث وعشرون ،
ومنها الى القُرْبَعَاء ٢٢ ميلاً ، وعرضها ١٩ درجة . ومنها الى كَرَى ^(٢)
١٦ ميلاً ، وعرض كَرَى ١٩ درجة وسدس وثلاثا عشر . ومن كَرَى الى
تُرْبَة ١٥ ميلاً ، وعرضها ١٩ درجة وثلاث وثمان درجة . ومنها الى الضِفْنِ
٢٢ ميلاً ، وعرض الضِفْنِ ١٩ درجة وثلاثان وثمان . ومنها الى الفُتَيْق ٢٣
ميلاً ، وهي من صنعاء على ٣٠ بربداً = ٣٦٠ ميلاً = ، والفُتَيْق والطائف
ومكة على خط الطول من المشرق الى المغرب ، وعرض الفُتَيْق ٢٠ درجة
وعشرون درجة . ومنها الى رأس المناقب ١٢ ميلاً ، وهي منتهى الطريق
وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب او الجنوب ، وعرض رأس المناقب ٢٠ درجة
وربع وثلاث عشرون . ومن رأس المناقب الى قَرْن - ويسمى قرن المنازل -
سنة أميال . انتهى . وقد يعدل هذا الطريق من الفُتَيْق فينتجه شمالاً نحو
منهل غَمْرَة ، فذات عرق ، ميقات أهل العراق ، حيث يجتمع مع طريق
العراق الى مكة . وتبلغ نهاية اتجاهه شمالاً في غمرة ، التي ذكر الهمداني (ص ١٨٥)
أن عرضها ٢٢ درجة وأنها تبعد عن ذات عرق ٢١ ميلاً ، وان عرض
ذات عرق ٢١ درجة وثلاثا درجة . ويصف ابن رسته (ص ١٧٩) غمرة

(١) في النسخة المطبوعة عبّر عن الدرجة بكلمة (جُزء) ولكن في نسختي
المخطوطة سنة ١٠٢٩ سماها « درجة » .
(٢) كَرَى واد عظيم معروف في هذا العهد بين تربة وبين وادي رَنْبِه .

بأنها منزل خصب ، كثير الماء من البرك والآبار ، وقال : ومن هذا المنزل يحرم الحاج إلا الجمالين فلو أنهم يحرمون من ذات عرق . وقال قدامة بن جعفر^(١) : ومن القمرة تعدل إلى اليمن ، فن القمرة إلى الجند^(٢) ١٢ ميلاً ، وهو موضع البريد ، ومنقسم القوافل ، وليس فيه إلا بئر واحدة ، ونخل وزرع ، يستقى لها بالابل ، وهي موضع يسير مولى عثمان بن عفان ، ومن الجند^(٣) إلى الفتق ، ومن الفتق إلى تسربة ، وهي قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع ، وهي قرية خالصة مولاة المهدي .

وقد اقتصر الحمداني في كلامه المتقدم على ذكر محطات الطريق ، ولم يذكر غيرها من المواضع ، ولكن الر داعي أشار إلى كثير منها في أرجوزته ، ولعل من المفيد ذكر الأبيات ، التي لها صلة بهذا البحث ، دون غيرها ، مع إيضاح الحمداني لها - قال -^(٤) :

ثم انتجت بالسَّيْر - مِنْهَا - المطْنِبِ إلى « غُرَابَات » القُرَيْنِ الأنصب
ثم « الحُرْبَاء » بِسَوَاحِدٍ مُعَقَّبٍ ثم إلى « ضَفْنِ » روي المَشْرَبِ
ثم على « رُكْبَةٍ » مَرَّةً الأَرْكَبِ

الغُرَابُ قرن مُنْتَصِب . والحُرْبَاءُ أرض واسعة ، وضَفْنُ منهل تأنيه
الأَعْلَافُ من أمطار من ناحية الطائف :

فأت لها في مَطْلَخٍ طَاخٍ « بأَوْقَح » ذي المنهل الوضَاخِ
يَانَاقٍ هَمَّ الشَّهْرُ بِانْسِلَاخٍ فَاثْمَضَتْ بِمَشْرِفِ شِمَاخِ
عن « ذي طوى ذي » الحَمْضِ والسَّبَاخِ قَارِبَةً لَلْوَرْدِ مِنْ « كَلَاخِ »

(١) « كتاب الخراج وصناعة الكتابة » المطبوع بعضه في لندن سنة ١٣٠٦ مع كتاب المسالك لابن خردادبة .

(٢) كذا والصواب (الجند) بالخاء .

(٣) صفة جزيرة العرب ص ٢٦١ وما بعدها .

أوقع منهل على واد عذب الماء ، وقيل لعليل من أهل صنعاء - وهو في منزله - : ماذا تشتهي ؟ قال : شربة من ماء أوقع ^(١) . وكلاخ واد ماءه ثقيل ملح . وكل هذه البلاد من تبالة الى نخلة ديار هوازن ؛ فيها من كل بطونها .
يا هند لو أبصرت عن عيات . قلانصا يؤضعن في « جندبان »
بالقوم من يقظان او وسنان . علمت من ذو الفضل في الركبان
جلدان موضع قاع .

إذا انتحى القوم على الخوص العنق
عن « ذات أصداء » سنا في « الفنتى »
أقول للبارق وهنا إذ برق
هيجت أشجاناً لذي شوق طاق

فقلت لما كتاب لي احتفاظي / سل الهوى عن قلبك المغناظ
والعيس تطوي الأرض بالمظاظ مسهلة للخبث من « عكاظ »

فانجرت بالرفق العصائب عييدة مفعمة المناكب
تاركة « قمران » « للعناب » بحيث خطأ الميل كف الكاتب
و « شرباً » في جنح ليل واقب

حتى إذا أدنى الركاب مدني استبدت بالخوف دار الأمن
وجاءت المقات « وادي « قمران » ومسجداً حفا يزى الحسن
بقمرن مسجد النبي ﷺ وبثره وهو واد ونخل وحصون ، وهو على رأس البوابة .

ثم استطفوا فوق بعملات مفضين بالسير الى « البوبات »

(١) أوقع لا يزال معروفاً باسمه وهو في بلاد بلاء حارث في هذا الهد ويقع من كلاخ مطلع الشمس ، ويبعد عنه مسيرة نصف نهار للابل .

البوبات^(١) أرض منقلبة الى وادي نخلة ومصعدا الى قرن كتيب لا تكاد تعدوه الروايا والأئضاء .

ثم اعتزمتن العيس بالتصميم عوائداً للمسجد المعلوم
قواصداً «الكفو» «فالبسوم»^(٢) الى يربد الصخرة المعلوم
المسجد المعلوم مسجد ابراهيم عليه السلام الى رأس وادي نخلة ، ينزل الناس
فيصلون فيه ويدعون ، والكفو والبسوم جبلان بنخلة .

لِضَيْعَةِ الطَّلَحِيِّ مستقيمه صادرة عنها نؤم « الزَّيْمَةُ »
ثم على « سَبُوحَةٍ » القديمة الى « أَرَيْكَ » تعلي صميمه
ضَيْعَةُ الطَّلَحِيِّ من قریش نخل قديمت . الزيمة موضع فيه بستان ابن عبيد الله
الهاشمي ، وكان في أيام المقتدر على غاية من العماره ، وكان بغل خمسة آلاف
دينار مثقال ، وفيه حصن للمقاتلة مبني بالصخر ، ويحميه بنو سعد ٠٠٠ وعدد
جذوعه ألوف ، وفيه غيل مستخرج من وادي نخلة ، غدير ، بفضي الى فؤارة
في وسط الحائط ، تحت حَبِيَّةٍ ، ثم الى مأجل كبير ، وفيه الموز والحناء
 وأنواع من البقول ، وسبوحة^(٣) موضع ، وأربك عقبة تضاف الى المكات
 فيقال عقبة أربك بضم الألف ٠٠٠ والطريق حينئذ من رأس المناقب الى مكة
 ما بين المغرب والجنوب ، ثم تكون الشمس عاشياً على صدغك الأيمن .

ثم انتسحت - وخذأ - على انكماش « بئر الجذامي » باحتياش
 الى « حُسَيْنِ » المنهل الجياش حتى اذا أفضت الى « المشاش »
عجت بتحنان لشوق غاشي

(١) البوبات تعرف الآن باسم « البُيُوتَةُ » .

(٢) يقال لها « اليسومان » من باب التثنية ويُعرف اسمها الآن « السَّوْمَان » .

قال الراجز :

يا ناع سيري قد بدا بسُومان فاطوبها تبدوقان « غزوان »

(٣) سبوحة معروفة باسمها في هذا العهد ، واديه مزارع على المطر .

- آبار الجذامي : بئر معمورة ، والجذامي من أهل مكة . وحنين هو الذي كانت فيه وقعة حنين بين النبي ﷺ وهوازن . والمشاش : موضع تلقي فيه حجة اليمن ونجد . وحجة العراق والبحرين . انتهى ملخصاً .
- - وانه يقع في صحراء مستوية ، خالية من الأعلام والجمال ؛ سوى صخرت كبار ، وحُريرة في مهب الجنوب منه .
- ٦ - وانه متصل بأرض رُكبة - ويقع جبل حَصْن في مشرق مسيرة يوم وكَسْمر ، ويقع وادي قُرْآن في مغربه ، بقره .
- ٧ - وأن من أوديته وادي « شَرِب » .

ج - أين موقع سوق عكاظ ؟

ان جميع الاوصاف المتقدمة ، تنطبق انطباقاً تاماً على الأرض الواسعة ، الواقعة شرق الطائف - يميل نحو الشمال - خارج سلسلة الجبال المطيعة به ، وتبعد تلك الأرض عن الطائف مسافة (٣٥ كيلو متراً تقريباً - ومسيرة ليلة للابل) . ويحدها غرباً ، جبال بلاد عدوان (الحَضِيْرَاء - شَرِب العُقْرَب (١)) وجنوباً : جبال أسفل وادي لَيْسَة ، وبارق العُبَيْلَاء ، وضلع الحَلَسْ ، وشرفاً : صحراء رُكْبَة - وفي أقصاها جبل حَضْن - وشمالاً : طرف رُكْبَة - وهو من عكاظ - والجبال الواقعة شرق وادي قُرْآن . وتشمل هذه الأرض وادي الأخيضر (وهو المعروف قديماً باسم وادي عكاظ) ووادي شرب ؛ حينما يفيضان في الصحراء ، ويخرجان من الجبال ، وما بينهما من الأرض ، وما اتصل بها من طرف رُكْبَة الشمالي الغربي .

(١) هذه القرى الثلاث سكانها قبيلة عدوان .

د - المواضع التي بقرب عكاظ

ذكر المتقدمون مواضع كثيرة ، يستدل بها على موقع سوق عكاظ ، منها ما هو معروف في هذا العهد باسمه القديم ، ومنها ما هو مجهول ، فمن المواضع المعروفة :

١ - بُسْ : وهو جبل أسود (طرف من الحرة) مشرف على منهل عشيرة ، التي هي المحطة الأولى بعد قرن المنازل ، للذهاب إلى نجد ، ويقع هذا الجبل شمال موقع عكاظ ، بمسافة لا تزيد على مسيرة نهار للابل .

٢ - جلدان : وهي أرض سهلة واسعة ، تقع بين وادي لينة ، ووادي بَسْل ، وفيه هضبة سوداء تسمى «بَنْشَعَة» نقل ياقوت عن الأصمعي^(١) أن بها نَقْباً ، كل نَقْب قَدْرُ ساعة ، كان يلتقط بها السيوف العادية والحرز ويجمعون ان فيها قبوراً لعاد ، وكان يعظمون ذلك الجبل . وتسمى هذه الهضبة في عهدنا الحَلَاة - حَلَاةُ جِلْدَان - ومن كلام بدو تلك الناحية : مَنَ مَلِكُ نَزَاهَانِ بْنِ نَزَاهَانِ ، وَأَتَانَةٌ وَأَتَانٌ ، وخمسين من الضَّان ، وَمَرْتَعَى فِي جَنْبِ حَلَاةِ جِلْدَانِ ، فهو سلطانٌ ما عليه سلطَانٌ ، أي من ملك كلباً أصيلاً ، وحمارين ذكرًا وأنثى ، وخمسين شاة يراعها في ذلك الموضع فقد بلغ الغاية في العز .

٣ - حَضَن : وهو الجبل المعروف الذي ورد فيه المثل : «من رأى حضناً فقد أنجد» . ويقع شرقي موضع عكاظ ، ويشاهد منه عن بُعد ، مسيرة يوم للابل .

٤ - رُكْبَة : وهي فلاة واسعة تبلغ مسيرة أيام للابل ، وعكاظ في طرفها الغربي الجنوبي ، متصل بها .

(١) معجم البلدان (ج ٢ من ٣٦٣) وقد نسب صاحب الناج هذا الكلام إلى البكري ، ولكنه لا يوجد في معجمه المطبوع .

٥ - شَرَب : وهو وادٍ عظيم ، أعلاه وادي العقيق الواقع غرب الطائف وشماله ، ثم ينحدر ماراً بمزارع القَيْمِمْ وأُمّ الحَمْض والقُدَيْرَة ، ثم يلتقي به وادي الحَوَيْتَة من الغرب ، ثم يمرُّ بقريّة «شَرَب» أسفل الحَوَيْتَة ، بينهما ميل واحد ، ثم يجوز السلسلة الجبلية ويفضي الى الأرض البراح ، فسَمَّ عكاظ ، حتى تنتهي الى وادي الأخيضر في طرف ركبة . وقد يطلق على سوق عكاظ اسم شرب كما في قول الككيت ^(١) :

وفي الحنيفّة فاسأل عن مكانهم

بالموفيتين ، ومُلِقَى الرَّحْل من شَرَبٍ

٦ - العِلاء ^(٢) : قرية ذكر الحمداني أنها خربت ، وتقع بقرب العَبْيَلَة ، قرية عدوان المعروفة ، وتقع جنوب عكاظ .

٧ - عُنْ : جبل يقع بين المتجه نحو تَرْبَة ، ويشاهد على مسافة بعيدة من طرف ركبة الجنوبي ، ويقع جنوب عكاظ ، يميل الى الشرق . وفي هذا الجبل وتَسَلُّ يَرِدُه بعض المسافرين .

٨ - قُرَّان : وادٍ ينحدر من الأرض الواقعة بين الحوية وبين السيل الصغير وما حولها ، حتى يجتمع بوادي العقيق الكبير ، الذي هو أعظم الاعقة وأطولها . ويقع وادي قُرَّان غرب عكاظ ، يفصل بينهما آكامٌ تمتد من الجنوب الى الشمال ، وقد عدَّ الحمداني قُرَّان من أرض عكاظ ، والظاهر أنه خارج عنها ، وفي العقيق بقول الصمة الجشمي ^(٣) - أبو دريد - في حرب الفجار التي وقعت في عكاظ :

(١) معجم البكري ص ٨٩ .

(٢) في ترجمة ابن الدينة من كتاب « الأغاني » انه كان ينشد شعره في سوق العِلاء .

(٣) كتاب شعراء النصرانية ج ١ ص ٧٦٩ .

ولافت قريش غداة «العقيق» أمراً لها وجدته ويلا
وجئنا اليهم كموج الأقي - يعلو النجاد ويلا السبيل
و «العقيق» و «قرآن» مجاوران لكاظ من الجهة الغربية الشمالية .
٩ - كلاًخ : قرية فيها مزارع ، أسفل وادي بسل ، وتقع جنوب عكاظ
يميل الى الشرق .
المواضع المجهولة :

١ - الأثداء : ذكر الأصمعي أن سوق عكاظ يقام في هذا الموضع ،
وهو غير معروف في هذا العهد .

٢ - بقاء : يفهم من كلام عرقام أنها في أصل بس ، أنها بئر عشيرة
القديمة أو بقرها ، اذ هي في أصل بس .

٣ - جيب - نقل البكري عن ابن الأعرابي أن جبجباً من عكاظ .

٤ - الحريزة : تصغير حرّة - بدل كلام المتقدمين أنها هي المعروفة في
هذا العهد بضيائع الخالص ، وهو جبيل أسود صغير ، يقع في الجنوب
يميل قليل نحو الشرق من موقع عكاظ . وان لم تكن هو فهي مجهولة .

٥ - الخدود - أو الخدد - : يفهم من كلام ياقوت والزيدي ، وقبلها
قدامة الكاتب وقد تقدم كلامه - أنها تقع شمال موقع عكاظ ، فيما بينه وبين
منهل عشيرة .

٦ - دخم : الجبل الذي لجأت اليه بنو كنانة ، يوم شطة فسلموا - لا يبعد
ان يكون الجبل المسعى بالصالح ، بقرب قرية «العقرب» لعدوان ، ويسمونه
الصالح لاعتقادهم بأن رجلاً صالحاً قبر فيه ، وهم يعظمون ذلك الجبل سيف
العهد الماضي . ويقع بقرب عكاظ في الجهة الغربية .

٧ - شطة : موضع في عكاظ غير معروف .

٨ — عَيْنٌ خُلَيْبِيَّةٌ : غير معروفة ، ولعلها كانت بقرب ضلع الخَلَص ، جنوب عكاظ .

٩ — الفتى : بلد قد اندرس كما ذكر ذلك الهمداني ، ويفهم من كلام المتقدمين انه جنوب عكاظ بينه وبين العَرَج .

١٠ — القَفَا : جبل يفهم من كلام عرام انه أحد الجبال المجاورة لجبل عُنٍّ . وهو غير معروف . وأورد عرام فيه هذا البيت :
وقالوا خرجنا مِ القَفَا وَجَنُوبِهِ وعنِّ ، فَمِ القلبُ أن يتصدعا

هـ — سكان هذه النواحي

أشار المتقدمون الى أن هذه الجهات ، من منازل هوازن ، ثم صارت لبني هلال ، والظاهر ان بني هلال حلّوها وقت انتشارهم وقوتهم ، في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ثم لما هاجروا بعد ذلك الى مصر ، ثم الى بلاد المغرب عاد سكانها الأصليون اليها ، ولا يزالون بها . فمن سكانها :

١ — الجُشَمَة : واحدهم جُشَامِيٌّ . وقد يقال : جُشَامِيٌّ . وهم بنو جُشَمَ بن بكر بن معاوية بن هوازن اخوة بني نصر ، و « الجُشَمَة » تحريف « الجُشَمَة » بالشين ، لتقارب الحرفين في بعض صفات النطق . وتسكن هذه القبيلة في وادي « قرآن » ووادي « العقيق » وفي السَّيْل الصغير .

٢ — عَدَوَان : القبيلة القديمة التي منها حكم العرب ، عامر بن الضرب ، ومنها ذو الاصبع الشاعر ، وتسكن في وادي « شرب » وفي قرية « العَقْرَب » وهي قرية على ضفة وادي الأخيضر في أعلاه فيها نخل ، وفيها عين أو شكت أن تغور . وفي قرية « العبيلاء » .

٣ — العَصَمَة : وهم خلطاء ابني جُشَمَ وهم منهم ، كما في المقتضب وغيره من كتب النسب . ويسكنون أسفل وادي لَيْتَة ، في وادي يسمى باسمهم .

و - آراء المتأخرين في تحديد موضع عكاظ

١ - رأي الأستاذ خير الدين الزركلي :

قال في رحلته « مارأبت وما سمعت » : وعلى ذكر السيل أو البجانية ، لا أرى أن تفوتني الإشارة الى أشهر سوق من أسواق العرب ، أعني سوق عكاظ ، لوقوعها في تلك الطريق ، على مرحلتين من مكة للذهاب الى الطائف عن طريق السيل ، يميل فاصد عكاظ نحو اليمن ، فيسير نحو نصف ساعة ، فإذا هو أمام نهر في باحة واسعة الجوانب ، يسمونها « القانس » بالكاف المعقودة ، وهي موضع سوق عكاظ - الى ان قال - والواقف في القانس أو عكاظ يرى على مقربة منه موضعين مرتفعين ، أحدهما يسمى الدمة بكسر ففتح ، والآخر البهيتة ، بصيغة التصغير ، وعكاظ هو الفاصل بين الدمة والوادي الموصل الى الطريق التي يمر بها سالكو درب « السيل » البجانية - ثم قال الأستاذ بعد ايراده لكلام ياقوت في المعجم - وسمعت كثيراً من أهل الطائف يقولون ان عكاظاً كان في مكان يعرف اليوم باسم « القهاوي » في وادي ليثة من الطائف ، غير ان الشيوع يؤيد ما قلناه آنفاً من انه القانس نفسه ، وعليه اكثر العارفين ، من أهل هذه الديار .

٢ - رأي الامير شكيب أرسلان - رحمه الله تعالى - :

قال - بعد أن أورد كلام الأستاذ الزركلي المتقدم - « سيف الارتسامان اللطاف » ص ١١٠ - : أفلا يحتمل أن يكونوا أقاموا السوق مرة في القانس ، ومرة في المكان المسمى اليوم بالقهاوي ؟ على أن قول الأخ الزركلي ان القهاوي هي في وادي ليثة فيه نظر ، لأن القهاوي لبست في وادي ليثة ، ولا وادي ليثة هو قريب من هناك . وقال - ص ١١٧ - : إن المسافة من

المكان الذي كانت فيه سوق عكاظ الى مدينة الطائف هي نحو من ساعة بسير الكورباء .

٣ - رأي الأستاذ عبد الله فلي :

قال الدكتور حسين هيكل باشا في كتاب « منزل الوحي » ص ٣٨٠ - :
أما المستر فلي فيرجع السيل الصغير موقعاً لعكاظ ، وقد وضعها على خريطةه في مكان هذا السيل .

٤ - رأي الدكتور حسين هيكل باشا :

قال في « منزل الوحي » ص ٣٨١ - : انفرجت الجبال عن السيل الكبير ، فتخطت السيارة اليه ٠٠٠ واستدردنا بالسيارة فيما وراء الجبل ، ثم اعتدلنا نقطع بطناً من الأرض ٠٠٠ ووقفنا في موضع يقال له « الحُرَّة » من واد يقال له « غَسَلَة » وراء جبل سينر « دما » وهبطنا من السيارة ، وسرنا خطوات ، ثم وقفنا عند آثار بناء في تخوم الأرض ، مستوية مع سطحها ، يدل وجودها على وجود عمارة قديمة في المكان ، تتألف من ثماني غرف حسنة البناء ، أبست في شيء من منازل البدو . قال صاحبي ، بعد ان زرنا هذه الآثار : أشهد أني أميل الى ترجيح قيام عكاظ بهذا المكان ، وأحسب هذه الغرف الفسيحة كانت مقام سادة السوق ، قلت : لعلك لم تبالغ اذ رجعت - ثم وصف الدكتور البناء ، وقال - انه يرجح عندي قيام عكاظ بهذا المكان ، وان لم يُقيم سنداً علمياً على هذا الترجيح - انتهى باختصار .

وهذه الآراء تدور حول موضعين : السيل الكبير ، المعروف قديماً بقرن المنازل ، في رأي الأستاذ الزركلي والدكتور محمد حسين هيكل ، والسيل الصغير ، الواقع بين الطائف وبين السيل الكبير - على مسافة تقرب من ثلاثين كيلو متراً من الطائف - في رأي المستر فلي . وقد أغرب الأمير شكيب

- رحمه الله - حينما حاول الجمع بين القولين بقوله بإمكان إقامة السوق في الموضعين ،
مرة هنا ، ومرة هناك !

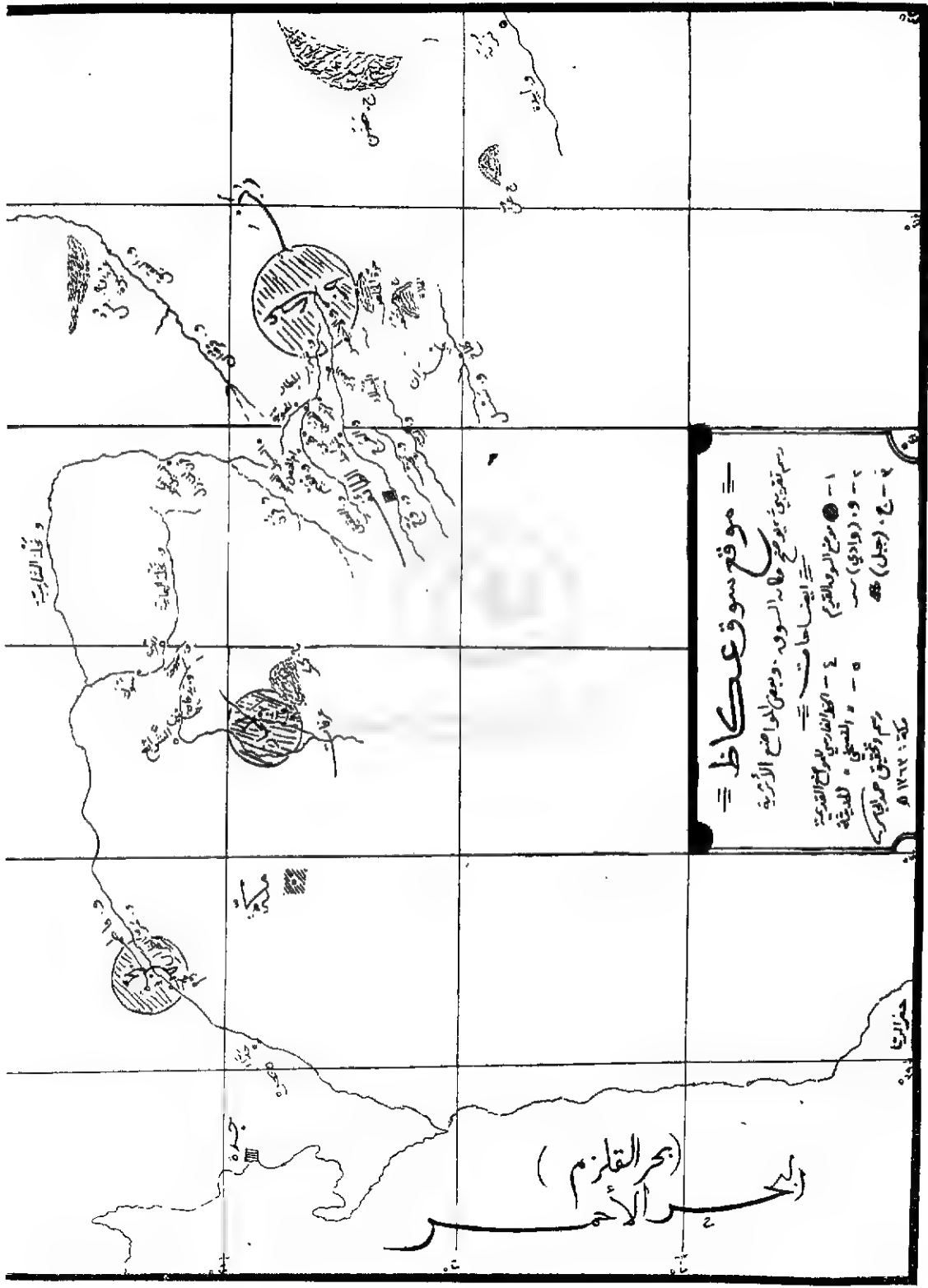
الخاتمة

هذه آراء بعض مشاهير متأخري الكتاب ، وتلك أقوال بعض متقدمي المؤرخين - من القرن الثاني الهجري الى القرن الثامن - وللباحث أن يدرسها وأن يقارن بينها ، لتظهر له الحقيقة ، وليرى أي الآراء أصوب ، وأي الأقوال أكثر انطباقاً ، وأوضح دلالة ، في تحديد ذلك الموضع التاريخي «عكاظ» .
وقد رسمتُ هذا البحث رسماً مقرباً ، أوضحت فيه موقع عكاظ - في رأيي - وبيّنتُ بعض الأمكنة التي لا تزال معروفة بأسمائها في هذا العهد .

حمد الجاسر



(الرياض)



موقع سوق عكاظ =

رسم تقني يوضح مكان السوق. ويظهر الموانئ الأثرية

- ١ - موقع السوق القديم
- ٢ - الموقع الجديد
- ٣ - موقع السوق القديم
- ٤ - الموقع الجديد
- ٥ - الموقع الجديد
- ٦ - الموقع الجديد
- ٧ - الموقع الجديد
- ٨ - الموقع الجديد
- ٩ - الموقع الجديد
- ١٠ - الموقع الجديد

رسم تقني يوضح مكان السوق. ويظهر الموانئ الأثرية

مكة: ١٢٠٠ هـ

بحر القلزم

الأحمر

إِقالةُ عشرةٍ من عَثَرَاتِ الأفلام^(١)

أو

بَحْثٌ طَريفٌ في (أَيّ) الشرطية

عددت من (عَثَرَاتِ أفلام) الصحافيين قولهم (لم يصدر عني أيّ تصريح) فقلت إن (أيّ) لها معان واستعمالات عدة • سردها صاحب (المغني) • واستعمال الكتاب لها في مثل الجملة المذكورة ليس من تلك الاستعمالات في شيء • والأفصح أن يستعاض عن (أيّ) في مثل تلك الجملة بحرف (ما) التي تفيد المبالغة في الإيهام والتكبير : فيقال (لم يصدر عني تصريحٌ ما) • على أنه إذا دقق المرء النظر في مثل هذا التركيب وهو قوله : (لم يصدر عني أيّ تصريح) وطريقة إرجاعه الى قواعد النحاة - وجده مختصراً أو مفخوخاً من كلام أطول منه • وكأنّ الكتاب العصريين إنما عالجوا طوله بطريقة الاختزال المستعملة في هذا الزمن :

(أيّ) في التركيب المذكور لا يمكن أن تكون استفهامية ولا أمم موصول ولا للدلالة على الكمال (زيدٌ رجلٌ أيّ رجل) ولا وصلة لنداء الاسم المحلّس بأل (يا أيّها الرجل) بقي من المعاني الخمسة التي ذكرها (المغني) (أيّ) الشرطية الجازمة • وبعد التأمل وجدت أنه يمكن إرجاع (أيّ) في مثل قولهم (لم يصدر عني أيّ تصريح) الى (أيّ) الشرطية هذه . ويمثلون

(١) إحدى محاضرات الأستاذ المغربي التي ألقاها في مجمع فؤاد الأول التنويعي العربي في جلسته المنعقدة في ٣ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٥١ م ويتلونها ما قاله أعضاء المجمع في موضوعها .

لها بقولهم : (أيا تفعل أفعل) : فأَيُّ الشرطية تتركب جملتها من فعلين
 يأتيان بعدها . مجزومين بها . وهي منصوبة بفعل الشرط الذي بعدها . ولها الصدارة
 في جملتها . فأصل (أيا تفعل أفعل) : (تفعل أيا أنت أفعله أنا) والتنوين
 في (أيا) عوض عن محذوف استغني عنه بدلالة المقام : تقديره (أي شيء
 تفعل أفعل) وبلحقون بأي هذه حرف (ما) فيقولون : أيا ما تفعل أفعل .
 وقال شراح الألفية إن (ما) هذه صلة (أي زائدة) لتأكيد الإيهام في
 (أي) ويريدون بالإيهام التنكير . ويجوز التصريح بالمضاف إليه المحذوف .
 فنقول مثلاً : (أي طعام تأكل آكل) واذ كان (طعام) نكرة مستغرفة
 لجميع أنواع الأطعمة جاز أن يكون المضاف إليه جمعاً فنقول : أي أطعمة
 تأكل آكل . وأي لحوم تأكل آكل . وقد يُعرف المضاف إليه بأل
 الدالة على الجنس أو الاستغراق . فنقول : أي الأطعمة وأي اللحوم .
 وإنما جاز ذلك لوجود الإيهام والتنكير في الأطعمة واللحوم . حتى لو قلت
 أي اللحمين - لحم سمك أو لحم طير - تأكل آكل جاز أيضاً : لأن
 الثانية أو الاثنينية لا تمنع التردد والإيهام في المأكول مادام غير معين بذاته :
 إذ أن (ال) في اللحمين للعهد الدهني المفيد للتنكير . على حد ما ذكره
 النحاة في مثالم المشهور : (انزل السوق واشتر اللحم) وكما يحذف المضاف
 إليه اختصاراً فيقال (أيا تأكل آكل) يحذف جواب الشرط . ففي آية
 (أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) تقديره أي اسم تسمّوا الله به فهو حسن :
 فقولنا (فهو حسن) جواب الشرط حذف ودل عليه قوله تعالى : « فله الأسماء
 الحسنى » . ومثله آية (أي الأجدين ما قضيت فلا عدوان علي) وهي قراءة
 ذكرها البيضاوي . وقال إن (ما) الواقعة بعد (الأجلين) مزيدة لتأكيد
 الفعل . والقراءة المشهورة (أيتما الأجلين قضيت) وجواب (أي) في هذه

الآية محذوف قَدَّرَه البيضاوي بقوله (أي الأجلين قضيتَ وفينك إياه) وقد دل على ذلك المحذوف المقدر قوله تعالى (فلا عدوان عليّ) أي لا يعتدي عليّ بطلب الزيادة . ومن هذا القبيل قول أبي الطيب المتبني في فرسه .
(وأصرعُ أيّ الوحشَ فقَسَيْتُهُ به وأنزلُ عنه مثله حين أركبُ)
(أيّ الوحش) شرطية وقسيتها به (أي أتبعته به) فعل الشرط . وجوابه محذوف والتقدير : أيّ الوحش أتبعته به أصرعه . فَحَذَفَ جواب الشرط وهو (أصرعه) وأقام دليلاً عليه قوله (أصرع) الواقعة قبل (أي) . وبذلك أفقدها حقّها من الصدارة أو يقال إن ضرورة الشعر جوّزت له ذلك .
وما قلناه في بيت أبي الطيب نقوله في بيت أبي تمام :

(هو البحر من أيّ النواحي أتبعته فلجته المعروف والجود ساحله)
بوؤل بقولنا: أيّ النواحي تأته منها تجده أو تلقه بجرّاً . وقد حذف جواب الشرط لدلالة قوله في صدر البيت (هو البحر) عليه وأقام مقامه قوله (فلجته المعروف الخ) واللافتان بالفاء زاد الدلالة دلالة .

تحصل معنا أن جواب (أي) أعني جواب الشرط يُحذف اختصاراً . وهل يُحذف فعلُ الشرط نفسه ياترى ؟ لم أظفر له بمثال في كلام فصيح .
وهل يُحذفان معاً : أي فعل الشرط وجوابه ؟ لم أظفر له بمثال أيضاً . ولكن ما ذكرته آنفاً من الحذوف والاختزالات التي تقع في تراكيب (أي) الشرطية يُهددني سبيل الجراءة إلى القول بأن ما أنكرته على الصحافيين والكتّاب المعاصرين من قولهم : (لم يصدر عني أيّ تصريح) هو صحيح على تأويل جعل (أي) شرطية حذوف جوابها لدلالة المقام عليه وحذف فعلها الشرطي نفسه أيضاً لدلالة قوله (لم يصدر) الواقع قبلها . وبكون أصل تركيب الجملة هكذا : (أيّ تصريح نسبوه إليّ لم يصدر عني) أو فهو باطل . أو فهو مختلق ونحو ذلك : (أيّ) شرطية

جازمة و (نسبوه إليّ) فعل الشرط حذف لدلالة السياق عليه و (لم يصدر عني) جواب الشرط حذف أيضاً لدلالة قوله قبله (لم يصدر عني) عليه كما دل قول المتنبي (وأصرع) على (أصرعه) الواقع جواباً للشرط في شعره السابق وهو (وأصرع أيّ الوحش ففتيته به وأنزل عنه مثله حين أركب)

هذا ما عندي أيها السادة في تأويل قولهم (لم يصدر عني أي تصرّيح) وهو كما تزوّت اختزال عجيب : هُدى إليه الصحافيون والكتّاب الذين تأثروا بهم بطول ممارستهم للكتابة . واضطّارهم إلى السرعة فيها . وليس في هذا الاختزال ما ينافي قواعد النحاة سوى سلب (أيّ) حقها في الصدارة . وربما كان المتنبي في قوله (وأصرع أيّ الوحش) هو الذي جرّأ الصغفيين على مثل صنيعه واختزاله . وتكون هذه الجملة أي (أيّ تصرّيح) في اختزالها على فنّط ما ورد في كلام العرب من الجُمْل المختزلة أمثال (أيضاً) (فصاعداً) (وله جراً) فإن أصلها جمل ثم اختزلت .

وبناء على هذا إذا كتّبت أحد الصحافيين في صحيفة له قوله (ولم تُنشر آيةٌ تفصيل عن محتويات مذكرة وزير خارجية انكلترا) ثم سئل عن صحة هذا التعبير . كان له أن يجيب بأن (آية) شرطية جازمة لشرطها وجوابها وقد حذف فعل الشرط لدلالة السياق عليه كما حذف جواب الشرط أيضاً لدلالة قوله قبله (ولم تُنشر) ويكون أصل الجملة هكذا : آية تفصيل يزعموا نشرها لم تُنشر .

مثال آخر : كنتُ قلتُ في بعض ما كتبتُه قديماً (وليدعوا الاستغاثة بالبشر . أو آية قوة أخرى من القوى والقُدَر) فيقال في تأويله (أو آية قوة يستغيثوا بها بدعواها) .

وقال زميلنا الأستاذ ابراهيم مصطفى بك في محاضراته التي ألقاها في مؤتمر الجمع

(بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٥٠) وجعل عنوانها في أصول الفحو - ما نصه (لم نجد في كتاب سيبويه أي رأي نحوي منسوب الى أبي الأسود الدؤلي) تأويله (أي رأي سيبويه الى أبي الأسود لم نجده) وهكذا نؤدل ما جاء في مصطلحات القانون الدولي التي أقرها المجمع بالأمس مذعرّف لفظ (الوفاق) (Accord) فقال : (هو اصطلاح يُطلق على مختلف الاصطلاحات الدولية في آية صورة كانت) وقوله أيضاً في تعريف (التوفيق) Conciliation (ومثل هذا الاقتراح ليس من شأنه أن يكون لأية من الدولتين المتنازعتين) .

وهذا الصنيع في اختزال جملة (لم يصدر عني أي تصريح) والإلحاح عليها بالحذف والبر حتى لم يبق منها سوى أداة الشرط - إن كان يُرضي أتباع النخاة المتساحين من الصحفيين - فاني لا إخاله يُرضي أتباع الجاحظ من بلغاء الزمان وحماة لغة القرآن ، الذين اذا نطقوا جملة (ولم تنشر أية تفاصيل عن محتويات المذكرة) اکتفوا بقولهم (ولم تنشر تفاصيل عن المذكرة) بحذف (أية) . وإذا أرادوا فضل تأكيد قالوا (لم يُنشر تفصيلٌ ما عن المذكرة) بزيادة (ما) التي تفيد المبالغة في الإيهام والتكبير فيستغنون بها عن (أي) مرة واحدة . انتهى أهبها الاخوان ما تجرأت على إلقائه على مسامعكم من هذا الموضوع الذي أرجو أن تنظروا اليه بعين الاهتمام والسلام .

المغربي

وقد اطلع على هذا البحث زميلنا العلامة الفاضل الأستاذ ابراهيم مصطفى بك فكتب بخطه ما يلي : ١٨ يناير سنة ١٩٥٠ .

قرأتُ هذا البحث الدقيق القيم الواسع المحيط :
وأرى تخرج استعمال «أي» في مثل قولهم (لم يصدر مني أي تصريح)
على أنها صفة لنكرة محذوفة أي لم يصدر تصريح أي تصريح . ثم حذف
الموصوف لفهمه ولتكرار لفظه .

وفي كتاب (ارتشاف الصَّرب) في باب الموصول مانعه :
«أي صفة لنكرة مذكورة نحو (مررت برجل أي رجل) فلا يكون
الا نكرة . وقد جاء حذف موصوفها في قول الشاعر :

(إذا حارب الحجاج أي منافق) يريد (أي الشاعر) منافقاً أي منافق
وظاهر كلام ابن مالك جواز حذف موصوفها هكذا . وهذا عن أصحابنا
في غاية الندور . وقالوا : فارقت (أي) سائر الصفات في أنه لا يجوز حذف موصوفها
واقامتها مقامه لا تقول مررتُ بأي رجل) . ١٠ ١١ بنصه

والارتشاف موجز جداً وتفصيله في (التذيل والتجمل بشرح التسهيل)
لنفس المؤلف . ومن هذا ترى أن لبعض الاستعمالات أجلاً وإبتاناً تكثُر ثم تندر .
وقد تندر ثم تكثُر : كما ندر هذا الأسلوب عند المتقدمين حتى أنكروه بعضهم .
ثم شاع وألف حتى جرت به الألفام بغير استنكار وحتى أبى استنكاره بعض
الكتّاب . وغضب ان يرد عليه .

حاشية :

(١) أعود أقول إن سبب استنكار النحاة حذف موصوف (أي) أنهم قروها
على إفادة معنى الكمال في الموصوف وهو موضع تقفي المبالغة فيه بذكر الموصوف - أما غيرهم
فأروا فيها أيضاً معنى الابهاء الذي يدل على كمال الدعوى لا كمال الموصوف . والله أعلم .

(٢) وفي الارتشاف أيضاً في نفس الباب :

«ولا تقع أي نكرة موصوفة فلا يجوز مررتُ بأي معجب لك وأجازته الأخفش» .

(٣) وقال :

وهي في الاستفهام والشرط بمنزلة (كل) مع النكرة ومنزلة (بعض) مع المعرفة نقول :
(أي رجال تغرب أضرهم) و (أي الرجال تغرب أضره) . إبراهيم مصطفى

وأنا أجد في هذه المناقشة ظاهرتين - الأولى دقّة حسّ استاذنا المغربي بالأسلوب العربي القديم السليم حتى استنكرت أذنه ما أنكره المتقدمون وما قلّ في كلامهم - الثانية أن الكتّاب المحدثين أخذوا يُطلقون أقلامهم لا يُطيعون لها قيماً ما استطاعوا البيانَ وما رَسَمَتِ ألفاظهم معانيهم - ومن خصائص العربية هذه السعة والمطاوعة حتى عاشت الأجيال - وسأيرت الأمم - وطغّت بغير جهدٍ على كثيرٍ من اللغات - وفي مرونتها وطواعيتها سرّ خلودها وغلبتها .

ابراهيم مصطفى

وبعد أنت أتم الأستاذ المغربي تلاوة بحثه في (أي) وقرأ الأستاذ ابراهيم مصطفى تعليقه المذكور عليه عاد أعضاء الجمع فأداروا الكلام حول البحث فقال : الشيخ ابراهيم حمروش : ما ذكره الأستاذ ابراهيم بك مصطفى في توجيه قولهم (لم يصدر عني أي تصريح) لا ينطبق على قصد المتكلم من هذا التعبير : لأن المتكلم لا يقصد أنه لم يصدر عنه تصريحٌ كامل بل أراد النفي المطلق . أما توجيه الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي فهو غير صالح أيضاً : لأن النحاة لا يميزون حذف الشرط والجواب إلا مع «ان» واستشهدوا بقول الشاعر :
(قالت بناتُ العمِ يا سلمى وإن كان فقيراً معدماً قالت وإن)

الأستاذ ابراهيم بك مصطفى : حذفُ الموصوف للدلالة عليه كثير . وقد يكون أقرب من تقدير حذف الشرط والجواب وأما قولهم : ان (أي) يراد بها السكّال فهو تطور في تعبيرهم . إنما المراد المبالغة في وصف الشيء أو كمال الموصوف في صفته . ومن هنا جاء معنى الاطلاق في (لم يصدر عني أي تصريح) معناه لم يصدر عني أي كلامٍ يمكن أن يسمى تصريحاً : على أوسع معاني كلمة «التصريح» وأقواها . والنحاة أنفسهم يتمتعون في استعمال (أي)

موصولة مع انها لم ترد موصولة في القرآن الكريم الا في موضع واحد في قوله تعالى : (ثم لنزعن من كل شيعة أيتهم أشد على الرحمن عتيا) وقد عدّها بعض المفسرين استفهامية .

وخلاصة القول : ان هذا الاستعمال (لم يصدر عني أي نصريح) صحيح سائغ . واذا اختلفنا في التأويل فلكل رأيه .

الأستاذ عباس محمود العقاد : أضاف الصحفيون الى اللغة العربية تلك العبارة ليدلوا على المعنى الذي تدل عليه كلمة Any في اللغة الانكليزية دون أن يُخلوا بالمعنى الأصلي لكلمة (أي) ولو لم يبتكروا هذا التعبير لبقى مقابل كلمة (Any) نافصاً في العربية . وليس من واجبتنا أن نترك لغتنا عاجزة عن الدلالة عما تدل عليه اللغات الحيّة الأخرى .

وكانت الساعة الأولى بعد الظهر فأعلن معالي الرئيس انتهاء الجلسة .

المغربي

الموفي في النحو الكوفي

المسبر صدر الدين الكنفراوي الاستاذ في الحنفية

علق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

— ٨ —

إنَّ وأخواتها : تنصب المبتدأ ، ذا فاعل كان ^(١) ، أو ذا خبر ، موافقاً كان أو مخالفاً ، نحو : إنَّ زیداً قائمٌ ، وكان قائماً زيدٌ ، وليت عندك عمرو ^(٢) .

(١) نحو : إنَّ قائماً زيدٌ أو الزيدان ، والكوفيون جوزوا رفع الصفة للظاهر على أنه فاعل لها ، من غير اعتماد على الاستفهام أو النفي ، نحو قائم الزيدان ، كما يميزون نحو : في الدار الزيدان بعمل الظرف بلا اعتماد ، فقائم وفي الدار كلاهما مبتدأ عند الكوفيين ، وزيد أو الزيدان فاعل أغنى عن الخبر ، فإذا دخلت (إنَّ) أو إحدى أخواتها نصبت المبتدأ وبقي الفاعل على حكمه ، وقد قال المؤلف في تعريف « المبتدأ الموافق ذي الفاعل » (ص ٢٩ من هذه الرسالة بشرحها) : هو شبه فعل أسند الى فاعله الظاهر ، وكتبت : « المراد بشبه الفعل : اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل والمنسوب » .

(٢) ذكر المؤلف هنا ثلاثة أمثلة ، فالأول : (إنَّ زیداً قائمٌ) مثال لنصب المبتدأ ذي الخبر الموافق « بأنَّ » ، وهو ما كان عين المبتدأ في المعنى ، لأنَّ معنى (قائمٌ) ذات انصفت بالقيام ، والمراد بها في هذا المثال ، (زيد) موصوفاً بالقيام ، والوصف في المعنى هو الموصوف ، وهذا معنى كون الخبر موافقاً . والثاني (كانَّ قائماً زيدٌ) مثال لنصب المبتدأ الموافق ذي الفاعل (بكأنَّ) (وتقدم المراد بالموافق) وحكمه حكم الفعل مع فاعله الثالث (ليت عندك عمرو) —

«فإن» لتحقيق مضمون الجملة و «أن» لتأويلها بالمصدر^(١) ، و «كان»
للتشبيه ، و «لكن» الاستدراك^(٢) ، و «ليت» للتمييز^(٣) ، و «لعل»
للترجيح^(٤) ، و يجرّ بها في عُقيل^(٥) .

— مثال المحلّ المخالف ، وهو «عندك» المنصوب «بكان» . ولا يخفى أن
لفظ «عندك» ليس هو عمرّاً في معناه ولذا سمّوه (المخالف) ، ففي (عندك
عمرؤ) المحلّ أو المبتدأ الذي هو (عند) منصوب وناصبه معنوي وهو المخالفة ،
فصار بعد دخول (ليت) منصوباً بعامل لفظي . وقد ينصب «ليت» الجزئين
عند الفراء نحو ليت زيداً قائماً ، لأنه بمعنى : (تمنيت) ومفعوله : مضمون الخبر ،
مضافاً إلى الاسم ، نحو : تمنيت قيام زيد . (انظر ص ٤٠ من هذه الرسالة) .
(١) (إن) هي موضوعة لتأكيد معنى الجملة فقط غير مغيرة لها ، و (أن)
المفتوحة موضوعة لتكون بتأويل مصدر خبرها مضافاً إلى اسمها ، فعني بلغني
أن زيداً قائم ، بلغني قيام زيد . (٢) هو تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم
ثبوته ، أو إثبات ما يتوهم نفيه ، قال الأشموني : وليست مركبه على الأصح ،
وقال الكوفيون : مركبة من «لا» و «إن» والكاف الزائدة لا التشبيهية ،
وحذفت المحزة تخفيفاً . (٣) أي في الممكن والمستحيل نحو : ليت لي مالاً
فأحسن ، وليت الشباب عائد . (٤) الترجي في المحبوب نحو : «لعلّ الله
يحدث بعد ذلك أمراً» والإشفاق في المكروه ، نحو : (لعله أصابته حرفة
الأدب !) وتكون عندهم للاستفهام نحو : «وما يدريك لعله يزكّي ؟» .
(٥) نحو :

فقلت ادعُ أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب
وهو لكعب بن سعد الغنوي (نحو ٥١٠ هـ) من قصيدة يرثي فيها أبا المغوار ،
واسمه هرم ، والشاهد في قوله : (لعلّ) حيث جرّ بها لفظ (أبي) والجرّ بها
لغة (عُقيل) وهو أبو قبيلة .

كما أن «مى» في هذيل حرف إضافة بمعنى «مين» ^(١) . ولا بدخان على الفعلية أبدأ ، ولها الصدر ^(٢) إلا أن المفتوحة ، لأن الجملة معها كالمفرد ، فتفتح في محل المفرد ، كالفاعل ، والمفعول ، والمضاف اليه ^(٣) ، والمفعول لغير

(١) كقول أبي ذؤيب الهذلي (توفي نحو ٢٢٧ هـ) يصف السحاب :

شربن بماء البحر ثم ترفعت مى لجج خضر لهن نثيج

ترفعت : تصعدت وارتفعت . لجج : جمع لجة ، وهي معظم الماء . نثيج : صوت عال . والضمير في «شربن» للسحب ، وقد ضمنه معنى روين فعدها بالباء ، أو هي بمى (مين) . و (مى) : حرف جر ، ولجج مجرور بها على لغة هذيل ، وهو الشاهد ، وجملة (لهن نثيج) صفة للجج ، أو حال من التون في شربن على زعم العرب . والمعنى : قال شراح هذا البيت إنه جاء على عقيدة العرب من أن للسحب خراطيم تدنو من البحر في بعض الأماكن فتأخذ من مائه بصوت مزعج ، ثم تصعد في الجو ، فيعذب ذلك الماء ، وينقل إلى حيث يريد الله فينزل مطراً . ولا مانع من أن يكون ذلك كتابةً عن تصعد الماء بواسطة حرارة الشمس ، وتنقله من جهة إلى أخرى بالهواء ، ثم نزوله على هيئة مطر ، وبذلك يتفق مع ما قرره علماء الطبيعة ١ هـ من منار السالك قلت : وهذا المعنى الأخير يتفق مع قول القائل :

كالبحر يطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

(٢) كل ما يغير معنى الكلام ويؤثر في مضمونه وكان حرفاً فترتبته الصدر كحروف النفي ، وكحروف التنبيه ، والاستفهام ، والتشبيه ، والتخصيص ، والعرض ، وغير ذلك ، وإنما لزم تصدير المغير الدال على قسم من أقسام الكلام ، لينبي السامع ذلك الكلام من أول الأمر على ما قصد المتكلم .

(٣) لما كانت «أن المفتوحة» - مع جزئها في تأويل المفرد ، لكونها مصدرية - وجب وقوعها مواقع المفردات كالفاعل والمفعول وخبر المبتدأ والمضاف اليه نحو : بلغني أنك قائم ، أي قيامك ، وعلمت أنك قائم أي علمت قيامك الخ .

قول وجوباً^(١) . وجواب القسم بلا لام ، فيجوز كسرهما ، والفتح أحسن^(٢) ،
وعن الطوال^(٣) ايجاب الفتح . وتكسر في محل الجملة كالابتداء^(٤) ، والصلة^(٥) ،
ومقول القول^(٦) ، وما في خبره لام^(٧) ، وما بعد واو الحال^(٨)
فان احتملها فوجهان نحو : مَنْ يَأْتِي^(٩) فإني أكرمه^(١٠) . ولا تخفف

(١) إذا قصد بالقول الاعتقاد الشامل للظن والعلم ، فإنها تفتح إذن كما
تفتح بعد الظن والعلم ، وأما إذا قصد بالقول الحكاية ، فإنها تكسر لأنه
ابتداء للكلام المحكي . (٢) في الرضي الذي خلصنا عنه ما تقدم ، وكذا
كسرت في جواب القسم ، لأنه جملة لا محالة نحو : بالله إنك قائم ، (قال)
وقد تفتح إن في جواب القسم عند المبرد والكوفيين إذا لم يكن في خبرها
اللام ، ولعل ذلك لتأويلهم لها بالمفرد ، أي أقسمت بالله على قيامك .
(٣) محمد بن أحمد بن عبد الله الطوال النحوي من اهل الكوفة ، أحد أصحاب
الكسائي ، حدث عن الأصمعي ، وقدم بغداد ، وسمع منه ابو عمرو الدوري
المصري ، قال ثعلب : وكان حاذقاً بالقراء العربية ، مات سنة ٢٣٤ هـ . (بغية
الوعاة ص ٢٠) من الطبعة الأولى .

(٤) نحو : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » .

(٥) في التنزيل : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة »

(أي تثقلها) . (٦) نحو : « قال : إني عبد الله » .

(٧) نحو : « إن ربهم بهم يومئذ لخبير » . (٨) نحو : « كما أخرجك

ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون » .

(٩) في الأصل تأتيني ، وهو سهو .

(١٠) فالكسر على جعل « إن » ومعموليها جملة أوجب بها الشرط فكأنه

قال : مَنْ يَأْتِي فهو مكرم ، والفتح على جعل « أن » وصلتها مصدراً مبتدأ ،

والخير محذوف ، والتقدير : من يَأْتِي فأكرامه موجود ، وما جاء بالوجهين قوله —

المكسورة^(١) ، وقد تخفف المفتوحة ، فتُلغى ، فتدخل الاسمىة والفعلىة^(٢) .
وأكثر دخولها على الفعلية بالسين أو سوف ، أو قد ، أو لا ، أو إن ، أو لن ، أو لم^(٣) .

تعالى « كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عَمِلَ منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح ، فإنه غفور رحيم » قرئ (فإنه غفور رحيم) بالفتح ، والكسر ، فالكسر على جعلها جملة جواباً لمن ، والفتح على جعل أن وصلتها مصدراً مبتدأ خبره محذوف والتقدير : (فالغفران جزاؤه) .

(١) في الرضى : ولا يجوز عند الكوفيين إعمال المخففة . وفي المغني :
فإن دخلت على الاسمىة جاز إعمالها خلافاً للكوفيين وتعقبه الأمير فقال :
وظاهره أن خلافهم في الإعمال مع الموافقة على المخففة ، مع أنهم يجعلونها نافية ،
ولام الفرق بمعنى « إلا » وفي منار السالك : نقل عن الكوفيين أنهم لا يجوزون
تخفيف (إن) المكسورة ، ويؤولون ما ورد من ذلك على أن (إن) نافية ،
واللام إيجابية بمعنى (إلا) . (٢) كتب الأستاذ الغلايينى رحمه الله :
إذا خففت (أن) المفتوحة ، فذهب سببويه والكوفيين أنها مهحلة لا تعمل
شئاً ، لافي ظاهر ولا مضر ، وتدخل حينئذ على الجمل الاسمىة والفعلىة ،
وهذا ما يظهر أنه الحق ، وهو مذهب لا تكلف فيه ، والجمهور يرون أنها عاملة
كالشدّة ، غير أن اسمها يجب أن يكون ضميراً محذوفاً ، ولا يجوز إظهاره
إلا في الضرورة ، وفي قولهم ما فيه من التكلف ١٥ باختصار قليل (ج ٢/٣٢٧)
من جامع الدروس العربية .

(٣) إذا وقع خبر (أن) المخففة جملة اسمىة لم يحنج الى فاصل ، فنقول :
« علمت أن زيد قائم » وإن وقع خبرها جملة فعلية ، فإن كان الفصل غير
متصرف لم يؤث بفاصل نحو : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » « وأب
يكون عسى قد اقترب أجلم » وإن كان منصرفاً دعاء لم يفصل أيضاً ، —

وَيَحْسُنُ دَخُولَهَا بِإِلَهاً أَيْضاً كَقِرَاءَةِ ابْنِ مَجِيصَن «لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرِّضَاعَةُ» ^(١)
وقول الشاعر :

أَنْ تَقْرَأَ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَحْكُمَا مَنِ السَّلَامِ وَأَنْ لَا تَشْعُرَا أَحَدَا ^(٢)

— نحو : «والخامسة (أَنْ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهَا) في قراءة من قرأ بصيغة الماضي ، وإن لم يكن دعاء فقال قوم يجب أن يفصل بينهما إلا قليلاً ، وقالت فرقة منهم ابن مالك : يجوز الفصل وتركه ، والأحسن الفصل ، قال في الألفية : وإن يكن فعل ولم يكن دعا ولم يكن نصريفة ممتنعاً فالأحسن الفصل بقَدْ أو نَفِي أو تَنْفِيسٍ ، أو لَوْ ، وقليل ذكر (لو) ونحن الآن نقتبع ترتيب «الموفي» في ذكر الشواهد على ما ذكر من الحروف الفاصلة نحو : «علم أن سيكون منكم مرضى» .

واعلم فاعلم المرء بنفعه أن سوف يأتي كل ما قدرا
«ونعلم أن قد صدقنا» «أفلا يرون أن لا يترجع إليهم قولاً»
«أيجب الإنسان أن لن نجتمع عظامه» «أيجب أن لم يره أحد» ولم أر
مثالاً للفصل بان وإنما رأيت بمن . قال الرضي : أو بأداة الشرط نحو :
(علمت أن من يضربك أضربه) أو يرُبّ نحو : (علمت أن ربّ خصم لي)
على مذهب الكوفيين اهـ .

(١) يرفع «بنم» . (٢) (ويح) كلمة ترحم ، وقبل البيت :
يا صاحبي فدت نفسي نفوسكما وحيثما كنتما لاقيتما رشداً
أن تحملاً حاجة لي خف محملاً وتضعنا نعمةً عندي بها ويدا
وهذه الأبيات لا يعرف لها قائل . في المغني : وزعم الكوفيون أن (أن)
هذه هي الخفيفة من الثقيلة ، شدّ اتصالها بالفعل ، وقوله هذا ، بناء على أن
الفصل واجب ، والذي في الخلاصة أنه أحسن «فقط» (وفي الأمير) وقال
مؤلفنا هنا : وأكثر دخولها على الفعلية بالسین الح أي ومن الأقل ، دخولها —

ويجوز رفع المعطوف على منصوبها نحو : إن زيدا وعمرو قائمان ، خلافاً
للقرآن فيما ظهر إعرابه ، دون ما خفي ، كقولنا : إن هذا وزيد قائمان ^(١) .
وقلّ إعمال « كأن » مخففة كقوله :
ويوماً توافيننا بوجه مقسم كأن ظبية تعطو إلى وارق السّلم ^(٢)

— على الفعلية من دون فصل ، ومنه قوله :

علموا أن يؤمّلون فجادوا قبل أن يسألوا بأعظم سؤل
والمعنى : علموا أن الناس يرجون معروفهم ، فلم يخيبوا رجاءهم ، ولم يحوجوهم
إلى السؤال بل تكرموا عليهم قبل أن يسألوهم شيئاً بأعظم مسؤل . والشاهد
في قوله : (علموا أن يؤمّلون) حيث استعمل فيه (أن) المخففة من الثقيلة ،
ولم يفصل بين (أن) وجملة الخبر بفواصل من الفواصل المعروفة ، وهي ملغاة
بالتخفيف لا عمل لها عند الكوفيين كما علمت .

(١) ذهب القرّاء إلى أنه لا يجوز رفع المعطوف على منصوبها قبل تمام الخبر
إلاّ فيما لم يظهر فيه عمل (إن) بأن يكون مبنياً كثال المؤلف ، أو مقصوراً
نحو : إن الفتي وسعيد متعلّمان ، ومثل ذلك لو خفي إعراب المعطوف نحو :
إن محمداً ويحيى مسافران ، وانظر ما كتبناه في رفع تابع منصوب إن وأخواتها
(ص ٤٥ و ٤٦) من هذه الرسالة .

(٢) هو لكعب بن أرقم البشكري بذكر امرأته ويمدحها . توافينا - تأمينا .
مقسم - مُحسّن ، يقال : رجل قسم الوجه ، أي جميله . تعطو - تتناول
إلى الشجر لتأكل منه . وارق - مورك . السّلم - شجر ذو شوك ، واحده سلمة .
والمعنى أن هذه المحبوبة تأتي إلينا في بعض الأحيان بوجه نضر كأنها في قدها
واعتمداً وخفتها ظبية تتناول الشجر المخصوص . قال في الأوضح : يروي (أي البيت)
بالرفع على حذف الاسم أي كأنها (ظبية) والنصب على حذف الخبر ، أي كأن
ظبية هذه المرأة ، وبالجر على أن الأصل كظبية ، وزيد « أن » بينهما .

وقوله : وصدر مشرق النحر كأن ثدييه حقان^(١)

وقد روي بالرفع ، وهو الأشهر^(٢) .

حروف العطف^(٣) : الواو للجمع بلا ترتيب^(٤) ، وقال بعضهم ترتب ، وهو منقول عن الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وعن الشيخين أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي ، وأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء . وقيل إن النحاة اتفقوا على أنها لا ترتب^(٥) .

(١) البيت لم ينسب الى قائل معين ، وهو أحد الأبيات للحسين التي لم يعرف قائلها كما قال البغدادي في خزائنه . النحر - أعلى الصدر أو موضع الفلادة . حقان ثنائية حقة بعد حذف التاء ، وهي الوعاء المعروف . والمعنى أن هذا الصدر مضيء عنقه ، كأن الثديين فيه حقان (من العاج) في الاستدارة والاكتمال وثندييه اسم (كأن) وحقان خبر .

(٢) أشرنا في البيت الأول الى وجوه الإعراب الثلاثة ، وعلى رواية الرفع في البيت الثاني ، يكون اسم (كأن) ضمير الشأن ، وثندياه مبتدأ وحقان خبر ، والجملة خبر كأن . وهذه الرواية أشهر كما قال المصنف .

(٣) أي عطف النسق ، من نسقت الكلام ، إذا عطفت بعضه على بعض ، فالمعنى العطف الواقع في الكلام المنسوق بعضه على بعض ، بتوسط أحد الأحرف الآتي ذكرها . (٤) أي الاجتماع في الحكم بلا تقييد بمعية أو زمان أو مكان ، لا دليل في الواو على شيء منها . (٥) هذا مذهب جميع البصريين والكوفيين ونقل بعضهم عن الفراء والكسائي وثعلب والربيع وابن درستويه . وبه قال بعض الفقهاء . - أنها للترتيب . دليل الجمهور ، استعمالها فيما يستحيل فيه الترتيب نحو : المال بين زيد وعمرو ، وتخاصم زيد وعمرو ، وفي التنزيل : « واسجدوا واركعي » (انظر الرضي ٣٣٨/٢) .

والفاء للتعقيب^(١)، وثم للتراخي^(٢)، وأو وأم لواحد منهم^(٣) . وتجيء أولاً لضراب^(٤)،

(١) هو أن يكون المعطوف بها منصلاً بلا مهلة، والتعقيب في كل شيء بحسبه نحو: «أمانه فأقبره» ونحو: «فوكزه موهى ففضى عليه» .

(٢) نحو: «أمانه فأقبره ثم إذا شاء أنشره» .

(٣) أي لامتناع الجمع بين المتعاطفين في التغيير كقوله: تزوج هنداً أو أختها . وبعد الخبر للشك نحو: «لبئنا يوماً أو بعض يوم» أو للإيهام نحو: «وإنا أو إياكم على هدى أو في ضلال مبين» والمعنى أن أحد الفريقين منا ومنكم لثابت له أحد الأمرين كونه على هدى أو كونه في ضلال مبين، وأخرج الكلام في صورة الاحتمال - مع أن من وحد الله وعبده فهو على هدى، وأن من عبد غيره فهو في ضلال مبين - نوطيتاً لنفس المخاطب ليكون أقبل لما يلقى إليه . (منار السالك) . (٤) في الأوضح: وللإضراب عند الكوفيين وأبي علي، حكى الفراء: اذهب إلى زيد، أودع ذلك فلا تبرح اليوم (فأو للإضراب بمعنى بل) . وبمعنى (الواو) عند الكوفيين، وذلك عند أمن التلبس كقوله:

قوم إذا سمعوا الصريح رأيتهم ما بين ملجم مهرة أو سافع

وهو حميد بن ثور (في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي أنه مات في حدود السبعين للهجرة، وفي معجم الأدباء لياقوت: مات حميد بن ثور في خلافة عثمان رضي الله عنه ج ١١ ص ١٣) أو سافع: آخذ بناصية فرسه . و (أو) هنا بمعنى الواو، لأن البنية من المعاني النسبية التي لا يعطف فيها إلا بالواو - وهو الشاهد . والمعنى أنت هؤلاء القوم أولو شجاعة ونجدة، إذا سمعوا صوت المستغيث أسرعوا لإجابه، فبعضهم بلجم الأمهار، والآخر بأخذ بنواصيها (المنار) .

ومثلها الواو مع إمّا^(١) ، و (بل) لا يجيب النفي ، فلا يعطف بها على التثنية^(٢) .
و (لكن) للاستدراك^(٣) . و (أم) المتصلة لا تفارق المحزنة

(١) عبارة الكافية : وأو وإمّا وأم لأحد الأمرين مبعها ، وأم المتصلة لازمة لمحزنة الاستفهام يليها أحد المستويين ، والآخرة المحزنة بعد ثبوت أحدهما لطلب التعمين ، ومن ثم لم يميز : أرأيت زيدا أم عمراً ، ومن ثم كان جوابها بالتعمين دون نعم أو لا . والمنقطعة كـ «بل» الخ .

وفي الشرح : اعلم أن الأحرف الثلاثة لأحد الأمرين أو أحد الأمور ، وأو وإمّا العاطفتان في المعنى سواء ، إلا في شيء واحد ، وهو أن (أو) يجيء بمعنى إلى أو إلا ، وتجيء (أو) للإضراب بمعنى (بل) .

وفي الأوضح وشرحه : وزعم أكثر النحويين أن (إمّا) الثانية في الطلب والخبر - نحو : تزوج إمّا هنداً وإمّا أختها ، وجاء في إمّا زيد وإمّا عمرو - بمنزلة (أو) في العطف والمعنى ، فتكون بعد الطلب للتخيير والإباحة ، وبعد الخبر للشك والابهام ، وللتفصيل نحو : «إمّا شاكرًا وإمّا كفورًا» والواو زائدة لازمة . (٢) قال المغني : ومنع الكوفيون أن يعطف بها بعد غير النفي وشبهه ، قال هشام : محال : ضربت زيدا ، بل إياك اه ومنعهم ذلك مع سعة روايتهم دليل على قلته . وفي ابن عقيل : يعطف ببل في النفي والنهي فتكون كلكن في أنها تقرر حكم ما قبلها وتثبت نقيضه لما بعدها نحو : (ما قام زيد بل عمرو ، ولا تضرب زيدا بل عمراً) .

(٣) وفي ابن عقيل عند قول الناظم : «وأول (لكن) نفيًا أو نهيًا» البيت أي : إنما يعطف (بلكن) بعد النفي ، نحو : (ما ضربت زيدا لكن عمراً) وبعد النهي نحو : (لا تضرب زيدا لكن عمراً) وفي الرضي : أجاز الكوفيون مجيء لكن العاطفة للمفرد بعد الموجب أيضًا نحو : جاءني زيد لكن عمرو ، حملاً على (بل) .

الاستفهامية ^(١) ، والمنقطعة للإضراب مع الشك في الثاني ^(٢) ، و (إما) :
يجب تكرارها خلافاً للفرأء ^(٣) . وقد يجيء (أو) بمعنى الواو كقوله ^(٤) :
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت أولادي
ومن العواطف : (أي) للتفسير ^(٥) و (إلا) المثبتة ^(٦) .

(١) تقدم قول الكافية (وأم المتصلة لازمة لمحة الاستفهام) الخ وفي المغني :
أم المتصلة التي تستحق الجواب إنما تجاب بالتعيين لأنها سؤال عنه ، فإذا قيل :
أزيد عندك أم عمرو ، قيل في الجواب زيد أو قيل عمرو ، ولا يقال (لا) ولا نعم .
(٢) قال الفرأء يقولون : هل لك قبيلتنا حق أم أنت رجل ظالم ؟ يريدون
بل أنت . ونقل ابن الشجري عن جميع البصريين أنها أبدأ بمعنى بل والمحة
جميعاً ، وإن الكوفيين خالفوه في ذلك قال ابن هشام في المغني : والذي يظهر
لي قولهم ، إذ المغني في «أم جعلوا لله شركاء» ليس على الاستفهام (١/٤٠) .
(٣) في المغني : «إمّا» يبنى الكلام معها من أول الأمر على ما جيء بها لأجله
من شك أو غيره ، ولذلك وجب تكرارها في غير ندور . . . وقد يستغنى عن
(إمّا) الثانية بذكر ما يعني عنها نحو : إمّا أن تتكلم بخير وإلا فاسكت .
. . . وقد يستغنى عن الأولى لفظاً ، وبعد أن أورد شاهدين لذلك (قال) :
والفرأء بقيسه فيميز : زيد يقوم وإمّا بقعد ، كما يجوز أو بقعد .

(٤) أي جرير ، يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك ، وقبلة :
ماذا ترى في عيال قد برمت بهم لم أحص عديتهم إلا بعداد
والعيال جمع عيال بوزن سيد ، وهو من عاله يعوله : إذا قام بمصالحه ، وبرمت :
تعبت وزناً ومعنى . وقد أوردته في المغني شاهداً للكوفيين على أن (أو) تأتي
للإضراب ، (١/٥٨) . (٥) نقول : عندي عسجد أي ذهب ، وغضنفر أي أسد .
(٦) وهي عندهم بمنزلة (لا) العاطفة في أن ما بعدها مخالف لما قبلها ، لكن
ذاك منفيٌ بعد إيجاب ، وهذا موجب بعد نفي .
م (٧)

حروف الشرط : إن للمستقبل غالباً ، وإن دخلت على الماضي ^(١) .
وقد تفتح همزتها ^(٢) ولو للماضي ^(٣)

(١) يعني سواء دخلت على المضارع أو الماضي ، وكذا (لو) للمضي على أيها دخلت قال تعالى : « لو يطيعكم في كثير من الأمر » هذا وضعها كما مر في الظروف المبينة (٣٦٣ / ٢ الرضي) . وقد تستعمل (إن) الشرطية في الماضي على أحد ثلاثة أوجه : إما على أن يجوز المتكلم وقوع الجزاء ولا وقوعه فيه ، كقوله تعالى : « إن كان قيصه قد من قبّل فصدقت » وإما على القطع بعدمه فيه ، وذلك المعنى الموضوع له (لو) كقوله تعالى : « إن كنت قلته فقد علمته » وإما على القطع بوجوده نحو : زيد وإن كان فقيراً لكنه كريم ، وأنت وإن غضبت حلیم ، واستعمالها في الماضي على خلاف وضعها انظر الرضي (١٠٣ / ٢) . (٢) في المضي : (تنبيه) وقد ذكر (لأن) معان أربعة آخر ، (أحدها) الشرطية كأن المكسورة ، واليه ذهب الكوفيون وفي الرضي : والكوفيون جوزوا جزمه بأن المفتوحة الشرطية .

(٣) ذكر المضي لها أوجه خمسة (أحدها) : لو المستعملة في نحو : لو جاءني لأكرمتك ، وهذه تفيد ثلاثة أمور أحدها الشرطية ، أعني عقد السببية والمسببية بين الجلتين بعدها . (والثاني) : تقييد الشرطية بالزمن الماضي (قال) : وبهذا الوجه وما يذكر بعده فارقت (إن) فإن تلك لعقد السببية والمسببية في المستقبل ولهذا قالوا الشرط (بإن) سابق على الشرط (بلو) وذلك لأن الزمن المستقبل سابق على الزمن الماضي ، عكس ما ينوهم المبتدئون ، ألا ترى أنك تقول : إن جئتني غداً أكرمتك ، فإذا انقضى الغد ولم يجيئني قلت : لو جئتني أمس أكرمتك . (الثالث) : الامتناع ، وقد اختلف النحاة في افادتها له ، وكيفية افادتها إياه على ثلاثة أقوال الخ (٦٨٩ / ١) .

وكثر اللام في جوابها ^(١) . وتدخلان على الفعلية والاسمية ^(٢) . و «أما»
لتفصيل ما أجمل في الذكر أو الذم ^(٣) .

حروف الاستفهام : المحزة وهل ، ولها الصدر ^(٤) . والمحزة تكون
للاينكار ^(٥) . ويجوز حذفها كقوله «شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر ^(٦)»

(١) نحو: «لو نشاء لجمعناه حطاما» ومن تجرده منها: «لو نشاء لجمعناه أجاجا» .
(٢) أما دخولها على الجملة الفعلية فقد رأيت أمثله هنا ، وأما دخولها على
الاسمية فقد تقدم بحثه في آخر الكلام على (الجوازم) عند قول المؤلف :
ويجوز أن يكون الشرط جملة اسمية نحو: «إن امرؤ هلك» . (ص ١٢٢) .
(٣) نحو قولك : هؤلاء فضلاء : أما زيد فعالم ، وأما عمرو فأديب ،
وأما بيشر فطيب . (٤) وتدخلان على الجملة الاسمية والفعلية نحو :
(أخاله شجاع أم سعيد) ؟ ونحو : أنعمتكم خليل ؟ وهل عليّ مجتهد ؟ وهل
قرأت النحو ؟ (٥) نحو : «أتعبدون ما تنحتون» «أغير الله تدعون» ؟
(٦) أوله : «لعمرى ما أدري وإن كنت دارباً» والمحزة مقدرة قبل
(أم) المتصلة ، والأصل : أشعيث بالهمز في أوله ، والثونين في آخره ، فحذفها
للفسورة ، والمعنى : ما أدري أي النسبين هو الصحيح . وقوله : شعيث ، مضمر ،
ومنقر (بوزن درهم) من تميم ، ينسب له شعيث . وأما سهم ، فمن قيس . أراد
الشاعر هجوم بأنهم أديبا سيفي نسبهم اختلاط . والبيت للأسود بن بغير
(مات نحو سنة ٢٢ قبل هـ) . ومثله قول المتنبي :

أحيا - وأيسر ما قاسيت ما قتلا والبين جار على ضعفي وما عدلا
أحيا فعل مضارع ، والأصل أحيا ، فحذفت همزة الاستفهام ، والواو للحال ،
والمعنى : التعجب من حياته بقول : كيف أحيا وأقل شيء قاسيته قد قتل غيري ؟
وذكر المعنى له شواهد أخرى (٢/ ٣٦١) .

ويحسن دخولها على الاسم مع وجود الفعل ، بخلاف هل في الكل ^(١) .
حروف الإيجاب : (بَلَى) لإيجاب النفي ^(٢) ، و (نعم) للتقرير ^(٣) ،
 و (إي) كنعم ، ويخص القسم المحذوف فعله ^(٤) ، وأجل ^(٥) ،

(١) لاشك أن المحمزة أعم تصرفاً ، أي إنها تستعمل فيما لم تستعمل فيه
 (هل) ، ويراجع بحثهما في الرضي ، وقال النحاة إن (هل) أصلها (قد)
 وهي من لوازم الأفعال ، فإن رأيت فعلاً في حيزها مالت إليه ودخلت عليه ،
 كما قال الشاعر الغزل :

مليحة عشقت ظبياً حوى حورل فذ رأته سعت فوراً لخدمته

كـ(هل) إذا مارأت فعلاً بجيزها حنت إليه ولا ترضى بفرقة !

(٢) أي إن (بلى) تنقض النفي المتقدم سواء كان ذلك النفي مجرداً ، نحو :
 بلى في جواب من قال : ما قام زيد . أي بلى قد قام ، أو كان ذلك النفي
 مقروناً باستفهام ، فهي إذن أنقض النفي الذي بعد ذلك الاستفهام كقوله تعالى :
 «ألمست بربكم قالوا بلى» أي بلى أنت ربنا . قال في المغني : واعلم أن
 نسبية الاستفهام في الآية تقريراً عبارة جماعة ، ومرادهم أنه تقرير بما بعد النفي .
 (٣) أي مقرر لما سبقها ، أي مثبتة ، سواء كان موجباً نحو (نعم) في جواب
 من قال : قام زيد ، أي نعم قام . أو منفيّاً نحو : نعم في جواب من قال
 ما قام زيد أي نعم ما قام .

(٤) نحو : «إي وربّي إنه الحق» وفعل القسم محذوف .

(٥) جواب مثل نعم ، فيكون تصديقاً للمخبر ، وإعلاماً للمستخبر ، ووعداً
 للطالب ، نحو : حضر الأستاذ . وهل حضر الأستاذ ؟ ونحو : «اجتهد» في
 دروسك » فنقول : أجل في ذلك كله كما تقول : نعم .

وجير^(١) ، وإن^(٢) .

حروف النفي : لم ولما ، نقلاب المضارع ماضياً^(٣) ؛ ولا ، للماضي المتكرر^(٤) ، والمستقبل^(٥) ، وورد للحال^(٦) ، وإن ، للاستقبال بلا تأييد

(١) في الرضي : ويقوم مقام الجملة القسمية أيضاً بعض حروف التصديق ، وهو (جير) بمعنى : نعم ، والجامع أن التصديق ، تأكيد وتوثيق ، كالتقسيم ، تقول : جير لأفعلن كأنك قلت : نعم والله لأفعلن ، وهي مبنية على الكسر ، وقد يفتح ككيف .
(٢) نحو قوله :

ويقلن شيب قد علا لك وقد كبرت فقلت إنّه

وهي حرف جواب بمعنى : نعم ، والبيت لعبد الله بن قيس الرقيات ، مدح عبد الملك بن مروان ، ومصعب بن الزبير ، ولقب بالرقيات لأنه تغزل بنسوة اسم كلهن (رقية) وقبله :

بكر العواذل في الصّبوح يلحنني وألومهنه

وبكر بالتخفيف : خاص بأول النهار . والهاء هاء السكت .

(٣) أي قلب معنى الفعل المضارع للمضي ، ويجوز انقطاع نفي منفي «لم» ، ومن ثمّ جاز : لم يكن ثم كان ، وامتنع في (لما) وقد تقدم هذا في بحث الجوازم (ص ١١٨) من هذه الرسالة .

(٤) نحو : «فلا صدّق ولا صلتى» .

(٥) في المغني : وإن كان ما دخلت عليه فعلاً مضارعاً لم يجب تكرارها ، نحو : «لا يحب الله الجهر بالسوء» . (٦) وبخلاف المضارع بها للاستقبال عند الأكثرين وخالفهم ابن مالك لصحة قولك جاء زيد لا يتكلم ، بالاتفاق ، مع الاتفاق على أن الجملة الحالية لا تصدر بدليل استقبال . ٥١

ولا تأكيد^(١) . وما وإن ، للعال ، والماضي القريب منها^(٢) .

حروف الاستثناء : إلا ، واللام ، بعد (إن) النافية ، كقوله :

ثابت يمينك إن قتلت مسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد^(٣)

ونصب «كلاً» في قراءة «وإن» كلاً لما ليؤفيتهم ، بتقدير :
(أرى)^(٤) .

محمد بن هبة البطار

(يتبع)

(١) تقدم مثل هذا للمؤلف في نواصب الفعل المضارع . (ص ١١٤)

(٢) نحو : «وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله» وإن أدري لعله فتنة

لكم ومتاع الى حين «إن أردنا إلا الحسنى» .

(٣) فائدة هذا القول هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل صحابية مباحة

مهاجرة ، أخت سعيد أحد العشرة . تخاطب به عمرو بن جرموز قاتل الزبير

ابن العوام ، في وقعة الجمل (أو قبلها) . ثلت : بدست ووجدت والقصد :

الدعاء على القاتل . حلت : وجبت . والمعنى : أشل الله يدك أيها القاتل ، لأنك

قتلت مسلماً ، ووجبت عليك عقوبة متعمد القتل : «ومن يقتل مؤمناً

متعمداً . . . الآية) .

وفي منار المسالك : نقل عن الكوفيين أنهم لا يميزون تخفيف (إن)

المكسورة ، ويؤولون ماورد من ذلك على أن (إن) نافية ، واللام إيجابية

بمعنى (إلا) .

(٤) الكوفيون يعملون (إن) نافية ، وبقدرون فعلاً ، أي : وما أرى

كلاً إلا ليؤفيتهم ، و (ما) صلة ، أو نكرة بمعنى خفا .

الجزء الثاني

من

الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة

للشيخ نعم الدين الغزي

— ٤ —

- ص ٢٠٠ : ٢٢ — مسيباً بيا به .
- الصواب : « متسبياً بيا ب الزيد » شذ (٢٢٢) .
- ص ٢٠١ : ٢ — واليك مرجعنا بأمر حازم .
- الصواب : « بأمر حازم » شذ (٢٢٢) .
- ص ٢٠١ : ٤ — وعصيت في تمهيد أسـ وحدتي .
- الصواب : « وعصيت في جهل الشباب وحدتي » شذ (٢٢٢) .
- ص ٢٠١ : ٥ — آنس ميني في القبور وحدتي .
- الصواب : « آنس ميني في القبور وحدتي » شذ (٢٢٣) .
- ص ٢٠١ : ١٤ — علي بن محمد بن عز الدين بن محمد الصغير .
- الصواب : « علي بن احمد بن محمد بن » شذ (٢٢٣) ولأن امم محمد بعد علي قد مضى . ثم أتى بعد ذلك : علي بن احمد كما في الاسم الذي قبله وبعده .
- ومع ذلك فهذا النسب مشوش حتى في الشذرات .
- ص ٢٠١ : ١٦ — بمكتب العدل .
- الصواب : « بمكتب العدول » شذ (٢٢٣) أي الشهود العدول .
- ص ٢٠٢ : ٩ — الى خلفاء الشيخ . وعلق عليها : في الاصل خلفات .
- الصواب : « الى خلفاء الشيخ » والخلفاء جمع خليفة . والخليفة عند الصوفية

هو الذي يخلف شيخه بعد موته بالارشاد ويكون ذلك باجازه من الشيخ قبل وفاته .

ص ٢٠٣ : ٥ — وذكر الشعراوي في طبقاته .

الصواب : « وذكره الشعراوي في طبقاته » .

ص ٢٠٣ : ١٥ — قال فتكفل علي بذلك .

الصواب : « قال فتكفل علي ذلك » .

ص ٢٠٤ : ١٤ — واذا تألف بارق من بارق .

الصواب : « واذا تألق بارق من بارق » .

ص ٢٠٥ : ٢ — ابن ماجه .

الصواب : « ابن ماجه » بالهاء .

ص ٢٠٥ : ١١ — من طريق بحر التيسير .

الصواب : « من طريق التيسير » .

ص ٢٠٦ : ٢١ — في مدرسة تغم بمحلة ميدان الحصا .

الصواب : « في مدرسة تغم بمحلة ميدان الحصا » .

ص ٢٠٦ : ٢٢ — واستجازه وأجازوه .

الصواب : « واستجاره فأجازوه » .

ص ٢٠٧ : ١٨ — من مستهام فعاداه الى الأجل .

الصواب : « من مستهام فقاده الى الأجل » شذ (٢١٨) .

ص ٢٠٧ : ٢٣ — إن تقطعوا بالغرام الود ماحيلي .

الصواب : « إن تقطعوا بانصرام الود ماحيلي » شذ (٢١٨) .

ص ٢٠٨ : ١ — ماحلت عنكم ولا أبني لكم بدلاً .

الصواب : « ولا أبني بكم بدلاً » شذ (٢١٨) .

ص ٢٠٩ : ١٩ — ناصحاً صديقاً وعشرة .

الصواب : « ناصحاً صديقاً وعثرة » وعثرته أهل بيته .

ص ٢٠٩ : ٢٠ — ضعف الفي ألف مرة .

- الصواب : « ضعف الفِ الف مرة » .
- ص ٢١٠ : ٢٧ - فصل .
- الصواب : « حصل » .
- ص ٢١١ : ١٨ - تكلم بعض الناس .
- الصواب : « كلم بعض الناس » .
- ص ٢١٢ : ١١ - فجاءنا .
- الصواب : « فجاء » .
- ص ٢١٣ : ٢٦ - وجرتجوه بما هو يري منه .
- الصواب : « وجرحوه » بالتخفيف لا بالتشديد .
- ص ٢١٤ : ١٩ - ارتكبه ديون .
- الصواب : « ارتكبته ديون » .
- ص ٢١٤ : ٢٠ - قيل شاهد سيدي اسحاق وانا شاهد نوراً طلع من عنده .
- الصواب : « قيل شاهد سيدي اسحاق وشاهد نوراً طلع من عنده » .
- ص ٢١٩ : ٥ - فخط بين السورين .
- الصواب : « بخط بين السورين » .
- ص ٢١٩ : ٦ - يقول الفسقية التي فيها اودك تسع احداً .
- الصواب : « يقول : الفسقية التي فيها اولادك تسع احداً » بدليل قوله
- س (١٩ - ٢٠) فليس معه احد مدفوناً سوى ولدي محمد الاول واخوه عبد الرحمن
- فانهما دفنا قبله بسنتين .
- ص ٢٢٠ : ٨ - يباب الخرق .
- الصواب : « يباب الخلق » محلة معروفة بهذا الاسم الى عصرنا . هذا بالقاهرة .
- وفيها دار الكتب المصرية ومطبعتها .
- ص ٢٢٠ : ١٨ - لا تجد احداً من الخلق يشكون له .
- الصواب : « لا يجد احداً من الخلق يشكو له » .

ص ٢٢٣ : ١٩ - يتكسب بالشهادة بمرکز العدول المشهور قديماً بمكتب الصوفي .
الصواب : « يتكسب بالشهادة بمكتب العدول المشهور قديماً بمكتب الصوفي »
وتقدم الكلام عنه .

ص ٢٢٤ : ١٧ - وقد زادت شيوخه في الحديث بالسماع والاجازة والاجازة
الخاصة على مثنين وبالاجازة العامة دون السماع والاجازة الخاصة على مئة .
الصواب : « وقد زادت شيوخه بالسماع على مثنين ، وبالاجازة العامة دون
السماع ، والاجازة الخاصة على مئة » . شذ (٢١٩) وهي أحسن انسجاماً .
ص ٢٢٥ : ١٥ - يضارب به برجل . وعلق عليها : في الاصل : رجلاً .
الصواب : « يضارب به رجلاً » كما في الاصل ، ويضارب بمعنى يشارك ،
والمضاربة نوع من الشركة لها أحكام وحدود في كتب الفقه .

ص ٢٢٥ : ١٦ - ومختصر تنبيه الوسنان .
الصواب : « ومختصره تنبيه الوسنان » شذ (٢١٩) .
ص ٢٢٥ : ١٧ - مغني الراهب في روض الطالب .
الصواب : « مغني الراغب في روض الطالب » شذ (٢١٩) .
ص ٢٢٥ : ٢١ - المنتخب المارضي من مسند الشافعي . وعلق عليها : كذا في
الاصل ولعل الضاد محرفة عن عين .

الصواب ما في الاصل كما في شذ (٢١٩) والمعنى واضح منسجم .
ص ٢٢٦ : ٢ - النبذة الزكية فيما يتعلق بذكر انطاكية .
الصواب : « النبذة الزاكية فيما يتعلق بذكر انطاكية » شذ (٢٢٠) .
ص ٢٢٧ : ١٥ - معروف الجبرتي . . . امام الصابونية .
الصواب : « معروف الجبرتي . . . امام الصابونية » شذ (٢٦٦) والجبرتي
نسبة الى جبرت وهي بلاد الزبلع في الحبشة وتعرف في عصرنا بالصومال .
ومن شرط المدرسة الصابونية ان يكون امامها من الطائفة الجبرتية . انظر
تنبيه الطالب للنعمي ص ١٤ .

- ص ٢٢٧ : ٢٤ - طارح التكليف .
- الصواب : « طارحاً للتكلف » شذ (٢٩٧) .
- ص ٢٢٨ : ٢١ - لا يكثر بالدنيا .
- الصواب : « لا يكثر بالدنيا » .
- ص ٢٢٩ : ٩ - المقيم بالزقوفية .
- الصواب : « المقيم بالبرقوفية » (شذ ٢٦٩) .
- ص ٢٢٩ : ١٠ - وكان يقول مذهب الشافعي نصب عينه .
- الصواب : « وكانت تقول مذهب الشافعي نصب عينه » شذ (٢٦٩) .
- ص ٢٣٠ : ٢٥ - حتى جازاه وأوقع بصره عليه .
- الصواب : « حتى حازاه وأوقع بصره عليه » .
- ص ٢٣٢ : ٨ - يخطر لي ان طالما .
- الصواب : « يخطر لي انه طالما » .
- ص ٢٣٣ : ١٠ و ١١ - فقرأ عليه المختصر والمطول مع حاشية الشريف الى باب النصر .
- الصواب : « ٠٠٠ الى باب القصر » والمختصر والمطول شرحان للسعد التفتازاني على متن التلخيص للقرظيني وهو في علم المعاني والبيان والبديع . وباب القصر ، هو أحد أبواب علم المعاني .
- ص ٢٣٥ : ١٧ - باحدى الثاني .
- الصواب : « باحدى الثمان » .
- ص ٢٣٦ : ١٨ - احدى الثاني .
- الصواب : « احدى الثمان » .
- ص ٢٣٧ : ٤ - وبني داراً للفقراء .
- الصواب : « وبني داراً للقرء » شذ (٢٦٣) .

- ص ٢٣٩ : ٥ - ابن علاء الدين الاقصراني .
- الصواب : « علاء الدين الاقصراني » شذ (٢٢٣) .
- ص ٢٣٩ : ١٠ - اعانة العارض .
- الصواب : « اعانة الفارض » شذ (٢٢٣) .
- ص ٢٣٩ : ١٤ - أصله من نهران .
- الصواب : « أصله من هراة » شذ (٢٢٩) .
- ص ٢٤٠ : ٣ - يكتب العدل .
- الصواب : « يكتب العدول » .
- ص ٢٤١ : ١٨ - الشيخ علي بيك .
- الصواب : « الشيخ علي البيري » تقدم ذكره قبل ثلاثة أسطر في الكواكب .
- ص ٢٤١ : ٢٣ - محملا رجل جاهل .
- الصواب : « فحملها رجل جاهل » .
- ص ٢٤٢ : ١٥ - قدم حلب فرأس بها وتزوج .
- الصواب : « قدم حلب فراش بها وتزوج » أي صار صاحب مال ورياش .
- ص ٢٤٣ : ٥ - كان فلسكة مغزل .
- الصواب : « كأنه فلسكة مغزل » .
- ص ٢٤٣ : ١٠ - قاس فميم زائدة .
- الصواب : « قاس بميم زائدة » .
- ص ٢٤٥ : ٩ - مبارك عبد الله الحبشي .
- الصواب : « مبارك بن عبد الله الحبشي » شذ (٢٥٩) .
- ص ٢٤٥ : ١٠ - ان المبرد .
- الصواب : « ان ابن المبرد » وهو الجمال ابن عبد الهادي تقدم الكلام عنه .
- ص ٢٤٥ : ١٣ - وأقام على الأتراك وقاموا عليه .

- الصواب : « وقام على الأتراك ، وقاموا عليه » شذ (٢٥٩) .
- ص ٢٤٦ : ٢٠ - تعلقه بكلامه وحمله .
- الصواب : « تعلقه بكلامه وحله » شذ (٣٣٢) .
- ص ٢٤٦ : ٢٢ - كلام السنوي .
- الصواب : « كلام المثنوي » كتاب شعر صوفي باللغة الفارسية مشهور جداً
- كل قطعة منه بيتان ولذلك سمي المثنوي من قولهم : مثنى مثنى .
- ص ٢٤٧ : ١ - خطيب حمام الورد .
- الصواب : « خطيب جامع الورد » والخطيب يكون للجامع لا للحمام .
- ص ٢٤٧ : ٢٤ - دخل تيمورلنك .
- الصواب : « دخلها تيمورلنك » شذ (٢٣٥) .
- ص ٢٤٨ - باحدى الثمانى . مكررة ثلاث مرات .
- الصواب : « باحدى الثمان » .
- ص ٢٤٩ : ١٨ - اصحاب الحديث من الاولياء .
- الصواب : « اصحاب الجذب من الاولياء » .
- ص ٢٤٩ : ١٨ - لا بد من وقوع فيه .
- الصواب : « لا بد من وقوع فتنة » .
- ص ٢٤٩ : ١٨ - وكان اذا صب عليها انقطعت الفتنة .
- الصواب : « وكان اذا صب ماء عليها انقطعت الفتنة » .
- ص ٢٥٠ : ١٨ - كان بدور في أسواق دمشق .
- الصواب : المترجم مجذوب مصري ابس في ترجمته ما يبدل على أنه
- دخل دمشق ولعل الصواب ان يكون « في أسواق دسوق » وهي احدى
- المدن المصرية .
- ص ٢٥١ : ١٤ - المولى التكمشاري .
- الصواب : « المولى التكمساري » الشقائق على هامش تاريخ ابن خلكان ٦١٢/١ .

وهو كذلك في نسخة خطية من الشقائق محفوظة في الظاهرية رقم ٢٨ ق ٧١ .

ص ٢٥١ : ١٦ — باحدى الثاني .

الصواب : « باحدى الثالث » .

ص ٢٥١ : ١٦ — ابن مغتبيشا .

الصواب : « ابن مغتبيسا » المصدر السابق .

ص ٢٥١ : ١٩ — احدى الثاني .

الصواب : « احدى الثمان » .

ص ٢٥١ : ٢٣ — مصطفى الخافي ٠٠٠ المشهور بخافي .

الصواب : « مصطفى جاك ٠٠٠٠ المشهور بجاك » الشقائق (٥٦/٢) المطبوعة

والخطوطة المحفوظة بالظاهرية رقم (٢٨) تاريخ ، ورقة (٨٣) .

ص ٢٥٢ : ٢ — ببلدة نيرة .

الصواب : « ببلدة نيرة » الشقائق (٥٦/٢) شذ (٢٠٥) .

ص ٢٥٢ : ٨ — ثمان سنوات .

الصواب : « ثمان سنوات » .

ص ٢٥٤ : ١٤ - قوله تعالى (قل من يحيي العظام وهي رميم) .

الصواب : « قوله تعالى (قال من يحيي العظام وهي رميم) » آية قرآنية

سورة يس آية (٧٨) .

ص ٢٥٦ : ٨ — ثم بمدرسة مناشير بالمدينة المذكورة .

الصواب : « ثم بمدرسة مناستر ٠٠٠٠٠٠ » ومناستر مدينة مشهورة كانت احدى

الولايات العثمانية ، ثم سلخت عنها لدول البلقان .

ص ٢٥٦ : ٩ — باحدى الثاني .

الصواب : « باحدى الثمان » .

ص ٢٦٠ : ١٦ — نائب الشام كان بردي العرابي . وعلق على لفظ « بردي »

ما يلي : كذا في الأصل ولعلها مؤذن .

الصواب : « نائب الشام جاث بردي الغزالي » راجع ترجمته في شذرات الذهب ١٥٠/٨ واعلام الورى لابن طولون مخطوط في مكتبتنا ومصور في المجمع العلمي العربي . وولاة دمشق في عهد المالك لدهمان تحت الطبع .
ص ٢٦٢ : ٧ - احدى الثماني .

الصواب : « احدى الثمان » .

ص ٢٦٢ : ١٨ - وولي قضاء صفد ثم خربت ولم يذهب اليها .

الصواب : « وولي قضاء صفد ثم خربت ولم يذهب اليها » أي الى خربت برت وهي احدى بلاد الجمهورية التركية وتسمى في عصرنا « خربوط » والتصحيح من شذ (٢٥٣) والمعنى على نص الكواكب المغلوط ان مدينة صفد خربت في عصر المترجم وليس ذلك بصحيح .

ص ٢٦٢ : ١٩ و ٢٠ - ثم لما تولى نازع ولديه في العرفة يحيى بن كريم الدين .

الصواب : « ثم لما توفي نازع ولديه في العزة يحيى بن كريم الدين » يعني ان المترجم كان تولى المدرسة العزة الكائنة بالشرف الأعلى المتقدم ذكرها قبل سطر . فلما توفي المترجم أراد ولده أن يتوليها فجاء يحيى ابن كريم الدين ونازعها على التولية والتصحيح من شذ (٢٥٣) .

ص ٢٦٢ : ٢٠ - وأثبت انه من ورثة واقفها .

الصواب : « من ورثة واقفها » كما وردت قبل سطر وكما في شذ (٢٥٣) .

ص ٢٦٣ : ٤ و ٥ - احدى الثماني .

الصواب : « احدى الثمان » .

ص ٢٦٣ : ٦ - طارحاً للتكليف .

الصواب : « طارحاً للتكلف » .

ص ٢٦٣ : ٩ - في معالجة المرض بدار الشفاء .

الصواب : « في معالجة المرضى بدار الشفاء » .

وهذا آخر ما توفقنا الى تصحيحه في الجزء الثاني من الكواكب السائرة ،
وقد فاتني نحو نصف ما ذكرته مما لم أعتد الى صوابه . ولو وُجدت
الطبقات الوسطى للشعراني وكتاب در الحبيب لابن الحنبلي لأمكن
تصحيح كثير من نصوصه واني أرجح أن نسخة مكتبة الأزهر أصح من
النسختين اللتين طبع عنها الدكتور جبور هذا الكتاب فعسى أن يقوم أحد
فضلاء المصريين بمقابلة نسخة مطبوعة على النسخة المخطوطة المحفوظة بالأزهر
ثم ينشر الخلافات التي يجدها بين النسختين ، فيضيف جهوداً جديدة ويسدي بدأ
مشكورة الى العلماء والمحققين .

محمد أحمد دهمان

التعريف والنقد

في أصول النحو

تأليف سعيد الأفغاني

هذا الكتاب دراسات في اللغة والنحو ، يقع في قرابة مئتي صفحة من القطع الكبير . يقول الأستاذ المؤلف في مقدمته : « ٠٠٠ حرصت في هذه المباحث ، على أن يتزود الطلاب بمادة صالحة فيهما مع مسيرة النظرة التاريخية على قدر الامكان ، وراعت فيها مستواهم وحاجتهم ، ولولا ذلك لوجب علي بعض مانشر ، ونشر بعض ما طوي ، فكثير من القضايا مررت بها قطعاً لأنه بحث بأسهاب في دراساتهم السابقة ٠٠٠ »

٠٠٠ وأنا موقن ، بأن بين هذه المحاضرات ، والكمال الذي أتصوره لها مراحل فساحاً ، وان عمل الانسان أبداً في حاجة الى الاصلاح ، وان الخطوات العلمية لا تسد الا بالنقد يسهم فيه كل من عن له رأي صالح ، وانه ما من أحد يصغر عن أن ينقد ، كما انه ما من أحد يكبر عن أن ينقد ، ولست أضمن من عملي هذا أكثر من أفي بذلت فيه جهداً باخلاص ٠٠٠ »

وبعد المقدمة المحتمة الرصينة ، التي نقلنا هذه القطعة منها . يمحصر المؤلف موضوعه في أربعة بحوث :

- ١ - الاحتجاج في اللغة . يتناول فيه : اللحن وتثابه - العلوم التي يحتاج لها - من يحتاج بكلامه ، وما يحتاج به من الكلام - بعض قواعد في الاحتجاج .
- ٢ - القياس . وفيه : تاريخ القياس - القياسيون - أثر العلوم الدينية في القياس اللغوي - أحكام القياس - العصريون والقياس ٠٠٠

- ٣ - الاشتقاق • معناه - أنواعه - أحكام تتعلق به - كتب الاشتقاق ...
- ٤ - الخلاف بين نخاة البصرة والكوفة • لمحة تاريخية - نشأة الخلاف -
 الفرق بين المذهبين - نموذج من خلافهم - أثر العصبية في الخلاف - خلط
 المذهبين في بغداد والأندلس والشام •
- وقد وفني الأستاذ المؤلف موضوعاته حقها ، من البحث والاستشهاد ،
 وعزز ذلك بالرأي الناضج • من ذلك قوله في بحث الاشتقاق :
- « لا بد من إعادة النظر في باب الاشتقاق ، والوقوف على استعداد اللغة
 العربية فيه ، والافادة من مرانها وطواعيتها وكنورها المعطلة ، لتلبي حاجات
 عصرنا الحديث بل حاجات كل عصر ، فنطرد (؟) من قواعد ما كان غير
 مطرد ، ونكمل المواد النافضة في المعاجم ، ونشتق من الأعيان وغيرها كل
 ما ندعو اليه حاجة »

وتبين قيمة الكتاب ، مما نوهنا به ، ونقلناه عنه ، فنشكر للمؤلف غيرته
 على لغته ، وخدمته لها بما يضعه فيها من الكتب القيمة •



الوسائل الى مسامرة الاوائل

تأليف جلال الدين السيوطي

حقق هذا الكتاب الدكتور أسعد طلس • وطُبِعَ في مطبعة الفجاح ببغداد •
 قدم المحقق للكتاب مقدمة ذكر فيها من ألف في هذا الموضوع • ثم وصف
 المخطوطة التي اعتمد عليها ، ثم ترجم للمؤلف ونوه برغبته في التأليف واكثره
 منه ، وما قيل فيه وفي تأليفه •

والمؤلف قليل التدقيق في كثير مما يكتب ، كثير النقل عن غيره ،
 وفي هذا الكتاب الدليل الواضح على هذين الأمرين •

وعلى الرغم من ان المحقق قال في المقدمة : « ولم أعثر في الكتاب على أخطاء املائية او لغوية الا نادراً جداً مما لا يكاد يخلو منه كتاب » فقد كانت الأغلط كثيرة منها المطبعية ، وقد أشار الى بعضها في ملحق خاص في آخر الكتاب ، ومنها ما قد يكون في أصل المخطوطة ، وكان يسهل تصحيحها ولا سيما الأبيات الشعرية .
من ذلك :

وهذه تاسعة المثين قد أنت لا يخلف الهادي ما فيها وعد
وإعل صوابه :

وهذه تاسعة المثين قد أنت ولا يخلف ما فيها وعد
ليستقيم الوزن والقافية .

ومنه : وكسونا البيت الذي حرم الله ~~ملاء~~ معصباً وثوباً بروداً
وهو بيت لم يستقيم وزنه ولا مبناه . فلا يصح أن نعت :
« الملاء » بـ « المعصب » و « الثوب » بـ « البرود » .
وقد يكون البيت :

وكسونا البيت الذي حرم الله ~~ملاء~~ وثوباً وبروداً
أو ما يشبه ذلك ، وأثوب بالهمزة او التسهيل : جمع ثوب . بقي من أين جيء
بـ « المعصب » ؟ ولو كان « ملاءً عصباً » لصح المعنى و « العصب » على ما في
اللسان : « برود بمنية يُعصب غزلها أي يُجمع ويشد ثم يُصبغ وينسج فيأتي
موشياً لبقاً » ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ . وقيل هي برود نخططة ،
غير أن نعت « الثوب » بـ « البرود » لا وجه له ، ومع جمعه لا يستقيم الوزن .
ثم اطلعنا على هذا البيت في كتاب شمس العلوم « تأليف اشوان بن سعيد
الحميري » وروايته :

وكسونا البيت الحرام من العصب ملاءً معصداً وبروداً
وكذلك في الصفحة الـ ٤٣ .

أولُ عبد عمل المحاملا أخزاء ربي عاجلاً آجلاً .

ولعل الصواب « عاجلاً وآجلاً » ليكون الصدر والعجز من بحر واحد ،
وأغرب من هذا كله ما جاء في الصفحة الـ ٦٤ :
« ألهل أتى رسول الله إلا أني حميت صحابي بصدور نبلي
ولعل صوابه :

الاهل أتى رسول الله أني
بوصل المحزة في أتى شذوذاً .
وفي الصفحة الـ ١٢٢ :

عاجلتها امرداً حتى اذا شبت ولم تحسن ابا جادها
والصواب :

عاجلتها أمرد حتى اذا
فبستقيم الوزن ونخرج من تجوز لا وجه له .
الى أمثال لها ، كان يمكن تداركها بالاصلاح .



اليزيديون في حاضرم وماضيهم

تأليف السيد عبد الرزاق الحسيني

رسالة من النقطع الكبير تقع في مئة صفحة وتزيد . طبعت طبعا متقنا في
مطبعة العرفان بصيدا : « تبحث في منشأ الطائفة اليزيدية وتتكلم عن معتقداتها
الدينية . وعن الشيخ عدي بن مسافر الذي تنتمي اليه . وعن مرقد ووصفه
هذا المرقد ، وتضم بين دفتيها نصوص كتبها المقدسة لديها . وتصف شرائعها
الطقسية وسننها الاجتماعية وأعيادها الرسمية . . »

ثم يقول المؤلف في مقدمة رسالته : « واليزيدية إحدى الطوائف التي تكثرت
في اظهر معتقداتها تكثراً شديداً ، يعي المؤرخ ان يعطي عنها نتيجة قطعية ،
أو ان يصورها تصويراً نهائياً . . . لهذا نرى الباحثين في هذا المذهب يختلفون

في نتائج تدقيقاتهم وتبصائرهم اختلافًا يجعل دارس تاريخ هذه الديانة غير مطمئن الى ما وصلت اليه تحقيقاته ، ولا مؤمن بما وصلت اليه بد البحث ايماناً طليعياً .
وهذا الذي نقلناه ، يعطي فكرة عن موضوع الرسالة ، وأسلوب المؤلف فيها .
وقد زار السيد الحسيني اليزيديين في ديارهم ، وقابل أسراهم ، واختلط بهم .
واطلع على ما استطاع أن يطلع عليه من أسرارهم وخفاياهم . ثم اعتمد على من سبقه من الذين ألفوا في هذا الموضوع ، فجمعت رسالته وافية ، يقف المطلع عليها ، على كثير من الحقائق التي تكشف عن بعض حقيقة اليزيديين ، في مختلف نواحي حياتهم : الدينية والاجتماعية .

وزين المؤلف رسالته بعدد من الرسوم ، يستعين بها القاري على تعرف كثير من شؤون القوم وأحوالهم : العامة والخاصة . وهو جهد يشكر المؤلف عليه .

عارف النكري



تاريخ سورية

الدكتور فيليب حتي

صدر بالانكليزية في لندن (شركة مكملان) ١٩٥١

لم تكن مهمة الدكتور فيليب حتي حين تصدى لوضع تاريخ شامل لسورية في حدودها الطبيعية منذ العصر الحجري حتى العصر الحاضر من المهمات السهلة .
فالبلاد السورية من جبال طورس حتى حدود مصر قد شاهدت مواكب الحضارة قبل أن يبدأ التاريخ ، وتاريخها هو بالواقع صورة مصغرة لتاريخ العالم المتقدم .
ففي العصور القديمة نشأت فيها حضارة الأقوام المعروفة بالسامية وتأثرت بحضارات الشعوب الفاتحة التي أتت من البلاد المجاورة في وادي النيل والرافدين والأناضول وكذلك من بلاد اليونان والرومان ، كما أنها أثرت هي بدورها في هذه الشعوب .

وقبل الفتوحات الاسلامية عرفت سورية دولاً عربية كانت لها حضارتها المشهورة ثم لم تلبث أن أصبحت في العصور الوسطى وفي ظل الدولة الاسلامية قلب امبراطورية عربية واسعة وساهمت في نشر الحضارة حتى بعد زوال وحدة هذه الامبراطورية . وعندما حكمتها الدويلات الانجكية التي قامت في مصر ثم اناها العثمانيون وحكموها في العصور الحديثة لم تفقد البلاد شخصيتها ولا لغتها وظلت محتفظة بهذه الشخصية الى أن قامت فيها الدول العربية الحديثة بالرغم من ظروف الاستعمار الصعبة التي أحاطت بها .

هذه المراحل المختلفة في تاريخ البلاد مع مرافقها من أحداث سياسية وما ظهر أثناءها من مظاهر في الحضارة تحتاج معالجتها الى جهود كبيرة وذلك لأن تاريخ سورية يقتزن من جهة بتاريخ عدد كبير من الدول التي احتكت بها ، ومن جهة أخرى لأن الوثائق المتعلقة بعصور هذا التاريخ مكتوبة بلغات متعددة . وقد تصدى الدكتور حني لوضع تاريخ سورية بما فيه من صعوبة وتعقيد كما تصدى منذ نحو خمسة عشر عاماً لوضع تاريخ العرب ، وكان توفيقه في كتابه الجديد الذي بين يدينا لا يقل عن توفيقه في كتابه الأول . وقد أصبح المجلد الضخم الذي كتبه عن تاريخ العرب مرجع الأوساط الأجنبية في هذا الموضوع حتى طبع خمس طبعات وترجم الى معظم اللغات الحديثة . والمجلد الجديد في تاريخ سورية قد اضطر الدكتور حني الى الاطلاع على المراجع الأصلية المتعلقة بعصور التاريخ السوري وكتابات أكابر العلماء المختصين بتاريخ كل فترة فضلاً عن اطلاعه على نتائج الحفريات التي أجراها العلماء الأثريون في طول البلاد وعرضها في القرن الأخير وخاصة منذ ثلاثين سنة . والدكتور حني وهو أستاذ اللغات السامية وآدابها في جامعة برنستون ومن العلماء العالمين في الدراسات العربية الاسلامية لم يتردد في طرق أبواب الدراسات الكلاسيكية والتعرف الى كبار كتاب اليونان واللاتين والى مراجعة أبحاث العلماء الأثريين

لكي يكتب فصول تاريخه السوري . والكتاب الجديد لا يقتصر على التاريخ السياسي للبلاد السورية فحسب وإنما نعتبر ان من أهم مزاياه أنه لا يترك ناحية من نواحي الحضارة الا ويصفها ويعالجها . فهو يكتب عن نظام الحكم والمجتمع في كل فترة وفي كل عصر ، ويبحث عن الأحوال الاقتصادية والعمرانية ، ويتناول الحياة الفكرية والفنية ، وفي جميع هذه الأبحاث يرجع الى المصادر الرئيسية الأصلية ويشير إليها في الهوامش ويقارنها بما توصل اليه علماء الآثار والمؤرخون المعاصرون . ومن مزايا الكتاب انه فضلاً عن تعريف القارئ بأهم المراجع التي استقى منها او اعتمد عليها يعطيه صورة حية عن حضارة البلاد بالرسوم الكثيرة التي يتضمنها ، ويسهل على القارئ فهم أوضاع البلاد السياسية بوضع نحو ثلاثين خريطة تاريخية تتعلق بمختلف العصور وجداول للحكام والملوك في مختلف فترات التاريخ السوري . ويزيد في قيمة الكتاب ذلك الفهرس العام الذي يحوي في خمسين صفحة تقريباً أسماء جميع الأعلام والأماكن والمواضيع الواردة في التاريخ حتى أسماء المؤلفات والمؤلفين الذين ورد ذكرهم في الهوامش . ولقد رأى الدكتور حتي ان تاريخ سورية على شدة أهميته لفهم كثير من مشاكل العصر الحاضر ولمعرفة مصادر حضارة الأمم الغربية لم تدون حوادثه وتطوراتها ، ولم تعالج مواضيعه ونواحيه المختلفة في مجلد واحد ، بالرغم من وجود عشرات المؤلفات عن تاريخ كل فترة منه وعن كل شعب من شعوبه وكل ناحية من نواحيه . فقام بنسق هذه المعلومات وينقدها وبأخذ المناسب منها وينسج منها تاريخاً موحداً متسلسلاً لسورية ضمن حدودها الطبيعية وفي مختلف عصورها . ولقد نجح بعرضه للحوادث ووصفه لنواحي الحياة بلغة سهلة واضحة وبمبارات بعيدة عن التعقيد والابهام . وبما بلغت النظر روايته المبسطة لتاريخ سورية القديم بالرغم مما فيه من مشكلات تاريخية وغموض سيفي بعض النواحي . فهو يروي بدون أن يدخل في مناقشات تثقل الموضوع وتعقده ، على أنه يشير الى المراجع

الأصلية والحديثة في الهوامش لمن يريد زيادة البحث والاطلاع . والكتاب يقع في أكثر من سبعمائة صفحة عدا الفهارس ويقسم خمسة أقسام . ففي القسم الأول يصف جغرافية سورية وطبقاتها وتاريخها في العصور الحجرية . وفي القسم الثاني يتناول تاريخ الأقوام السامية التي استوطنت سورية وعلاقاتها بالدول المجاورة حتى نهاية العصر الفارسي ، ثم في القسم الثالث يتناول العصر اليوناني الروماني وظهور النصرانية ودول العرب قبل الاسلام . وهذه الأقسام الثلاثة التي تحوي تاريخ سورية القديم تؤلف القسم الأكبر من الكتاب وتقع في أربعائة صفحة . ثم في القسم الرابع يتناول تاريخ سورية في زمن الحكم العربي الاسلامي حتى الفتح العثماني ويتضمن نحو ٢١٠ صفحة . والقسم الخامس والأخير يبدأ بالحكم العثماني وينتهي في مطلع النهضة القومية العربية الحديثة ويحوي نحو خمسين صفحة ، فهو جانب لم يوفه المؤلف حقه وكنا نتحنى ان يوصل تاريخ سورية الى العصر الحاضر وان يتكلم عن مراحل الحكم العثماني في هذه البلاد بنفس التفصيل الذي تكلم فيه عن سورية في العصر اليوناني الروماني أو العصر العربي ؛ على انه يقول ان هذه المرحلة الأخيرة من حياة البلاد تحتاج الى من يضع تاريخها ولا ندري اذا كان سيتحفنا يوماً بهذا التاريخ . وفيما سوى هذه الناحية وكذلك مجاراته في بعض الأحيان لآراء مؤرخي الافرنج في أمور تتعلق بأخلاق السكان مثل الآراء التي أوردها عن سكان النطاكية وأخلافهم (ص ٣٠٢) وكان قد أوردها الألماني مومسن والانكليزي جين - أقول فيما سوى هذه الأمور فإن الكتاب هو حقاً تحفة رائعة من العلم وحسن التنسيق والاحاطة مع جمال وبساطة في الأسلوب وغزارة في الوسائل الايضاحية . وهو ماثرة اخرى تظم الى سائر مآثر الدكتور حني الذي عمل في سبيل تعريف شعوب أوروبا وأميركا بالعرب وحضارتهم وبالاسلام وتراثه الشيء الكثير وما هو يعرفهم اليوم بسورية والسوريين ومآثرهم خلال العصور .

وحي الأمومة

مما أجمع عليه أهل الفكر والرأي أن رسالة الأمومة هي أبهى رسالة المرأة على وجه الدهر ، وكتاب «وحي الأمومة» الذي ألفته السيدة الفاضلة روز عطا الله شحنة سجل حافل بالشواهد على هذه الرسالة الإنسانية الخالدة ، وإذا كانت المؤلفة الحبيبة قد أودعت مؤلفها هذا نفحات قلبها وخواطر نفسها التي فاضت بحنان الأم وإخلاص الزوجة ووعي المرأة الراجحة فلنما كان ذلك منها عن إحساس ومراس وصرخة وعباءة .

لقد لمع اسم المؤلفة في أفق النهضة النسائية العربية منذ ربع قرن فكانت من الرائدات السابقات في بلاد الشام إلى إرسال الدعوة وبذل المعونة في سبيل المرأة وتعليمها وتوجيهها وجهة سليمة قوية .

وكتابتها هذا بما فيه من حرية الفكر وحرارة القول يخفق بالدعوة الى تقدير المرأة وإنصافها ، فهو جهاد سنين وصور تطور وتحور ، خرجت فيه المؤلفة من غمار معركة المجتمع كما يخرج البطل المظفر ويبدى علم خفاق ، وقد اشتملت صفحات الكتاب على موضوعات متنوعة تتصل بحياة البيت والمجتمع ، وتمس الأهداف التي تسعى المرأة الى تحقيقها متملحة ومتقنة ، وفي مقدمتها اسعاف الانسانية البائسة ، والتخفيف من وبل المحرومين والكادحين ، وهذه المساعي أول ما ينبغي أن يظهر من المرأة الواعية ، فمن أولى منها بالعطف على الانسانية الشقية التي أضلها الجهل والحرمان ، وأصاها التشريد والحوادث ؟

وقد أضافت المؤلفة الفاضلة إلى هذا البر الاجتماعي دعوة وطنية خالصة كانت فيها ملحمة بالحفاظ على منتوج البلاد ، وما يبقي على حياتها الاقتصادية ، فكانت في هذا المذهب ذات رأي سديد بأن يكون ما تقيمه المرأة في منزلها من بناء الاقتصاد هو الدعامة الأولى لاقتصاد الوطن واستقلاله وكرامته .

وإنه لحق أن نجد منبع الحياة الروحية لكل وطن من المنزل ، وقد ضل السبيل أكثر المصلحين حين جهلوا هذه الناحية أو أغفلوها ، ولقد كان من تعاليم الإغريق والإسلام أن يكون البيت أساس البنيان الوطني الكبير ، فلا عجب إذا دعت مؤلفة « وحي الأمومة » الى الاقتصاد المنزلي وجعل الأمرة منبعاً للفضائل الروحية والاجتماعية ، فإنها أم قبل كل شيء ، ولذلك كانت موفقة في تسحية كتابها الذي نتم عليها ، وكان وحيه داعياً الى نشاطها المهود .

وما أعجب بشيء مثل إعجابي بالمؤلفات والمؤلفين الذين لا يكونون غرباء عن موضوعاتهم وآثارهم ، إذ يجعلونها مرآيا صادقة تعكس شخصهم ونفوسهم وتطبع آراءهم وشعورهم دون تزبد أو تمويه .

وما أمقت شيئاً مثل مقفي لأفلام يكون أصحابها في وادٍ وآثارهم في وادٍ . . . أما صياغة المؤلفة وأدائها - وهل عني بجمعنا العلمي قبل كل شيء - بمثل الفصحى ونقد الرككة وإحكام التعبير - فإنها لا يشفان عن صبر على أساليب الأقدمين من كتابنا والمحدثين الذين جرؤوا على غرارهم وجمعوا بين الطرافة والجزالة في التعبير والأداء ، لقد أرسلت المؤلفة قلمها على سجيته وطافتها دون أن تطبعه بطابع أدبي أو أسلوبى ، وقد غلب عليها بيان صحافي وخطابي اكتسبته من عنايتها بالصحافة وإبشارها مخاطبة الجمهور ، وهي تشكر وتقدر لما صنعت من أجل نفسها وقومها ، لا سيما وأمثالها قليل في رائدات الجيل الحديث .

وراد سلك كينى

(القاهرة)



Miniatures de la Renaissance

تأليف (Anselmo M. Albaredo M. B.) أمين مكتبة الفاتيكان ،
ويحتوي هذا الكتاب على (٩٢) صفحة من القطع المتوسط و (٣٣) صورة
طبع في مدينة الفاتيكان سنة ١٩٥٠ .

احتفلات مدينة الفاتيكان في السنة الماضية بذكرى مرور خمسمائة عام على
انشاء المكتبة البابوية التي أسسها سنة ١٤٥٠ البابا نقولا الخامس ، وكان
مولعاً بجمع المخطوطات لا سيما الكتب الدينية ، وقد بذل آلاف الدنانير لمن
يأتيه بنسخة آرامية من انجيل متّى . ولم يكن في المقر البابوي لما ارتقى كرسيه
الا (٣٥٠) مخطوطة يونانية وعربية وهذا كل ما خلفه له أسلافه خلال عشرة
قرون . وقد نشط بدوره بجمع نفائس المخطوطات حتى بلغ عددها في عهده
نحو (١٥٠٠) مخطوطة بذل في سبيل اقتنائها جهوداً طيبة وأثماً مغربة .
وهذه المجموعة هي نواة مكتبة الفاتيكان العظيمة التي تحوي اليوم (٦٠٠٠٠)
مخطوطة و (٧٠٠٠٠٠) كتاب مطبوع و (١٠٠٠٠٠) صورة وخريطة
وآلاف الاضبارات والوثائق التاريخية .

وقد نظمت المكتبة البابوية لهذه المناسبة معرضاً فنياً عرضت فيه نفائس
مخطوطاتها المصورة بريشة أبرع المصورين خلال خمسمائة عام أي من القرن
الثالث عشر الى القرن السابع عشر . وقد وضع المؤلف هذا الدليل ليستعين به
الجمهور على تفهم المعروضات ، وصف فيه أهم التصاوير المعروضة وصفاً طليحاً دقيقاً
وزين كتابه هذا برسوم أروعها . وافتتح الدليل بمقدمة عن تاريخ هذه المكتبة
وتطورها . وشرح فيها الغاية من هذا المعرض وفوائده الفنية والثقافية .

مصادر الدراسة الأدبية

وفقاً لمناهج التعليم الرسمية

صفحات الكتاب مع المقدمة والمشتغل ٣٩٢ ، مطبعة دير الخلس ، صيدا ، لبنان

لماؤلف هذا الكتاب السيد يوسف أسعد داغر عدة كتب قيمة بعضها باللغة الفرنسية وبعضها باللغة العربية وقد أورد المؤلف ثبوتاً بها في نهاية الكتاب .
والمؤلف أمين دار الكتب اللبنانية وخريج معهد المكتبات في باريس وعضو اللجنة الوطنية اللبنانية للأونسكو . وأعتقد أن كتابه هذا جزء من كتابه :
« دليل الأعراب الى علم الكتب وفن المكاتب » .

موضوع الكتاب ايراد مصادر الدراسة الأدبية للمواضيع العامة والشخصيات الأدبية والعلمية المدرجة في كل من مناهج البكالوريا في لبنان وسوريا والعراق ومصر .
بأني المؤلف بكلمة مختصرة مكثفة في الموضوع العام ثم يورد مصادر دراسته ،
وترجمة موجزة للشخصية الأدبية ثم يورد مصادر دراستها .

وفي الكتاب ١٢٥ بحثاً ، تسعة منها في مواضيع عامة ، والباقي في الشخصيات الأدبية ، وهو يرشد الى عشرين الف مصدر للبحث والدراسة الادبيين .

خطته في الحديث عن الأديب أن يترجم له ترجمة واقعية موضوعية يذكر فيها :
أ - أهم مراحل حياة الأديب . ب - مؤلفاته المطبوعة . ج - المصادر والمراجع العربية العديدة التي تتعلق به . وتشمل في أوسع الحالات :

أ - المصادر القديمة . ب - مؤلفات خاصة تتعلق بالشخصية الأدبية المقررة .
ج - مؤلفات عامة تناولتها بالبحث . د - مقالات الجلات العربية مأخوذة من
١٢٥ مجموعة مختلفة .

وينبغي أن هذا أن الكتاب جليل الفائدة للباحثين والأدباء والأساتذة والمدرسين وطلاب الجامعة والطلاب المحدثين من المدارس الثانوية فهو يرشد

الى المراجع الضرورية ويعود الطلاب المطالعة والاعتماد على أنفسهم وتكوين رأيهم الشخصي بالبحث والتنقيب ، وندرك زيادة فائدته اذا لاحظنا النقص في مكاتبنا من ناحية إهمالها الفهارس التفصيلية لمواضيع الكتب والمجلات وإدراجها ضمن ثبوت المراجع الخاصة بأشخاصها أو بحوثها . ومن محسناته تقديمه بعض الأبحاث العامة ملخصة تلخيصاً جيداً كأبحاث الاعتزال والصوفية والموشحات وما شاكلها .

وقد قدّم له صاحبه بمقدمة مستفيضة يبين فيها فائدة المطالعة الشخصية والرجوع الى المصادر الرئيسية في حياة دارس الأدب وضرر الطريقة التقليدية في قتل المواهب الشخصية والملكات الأدبية والعلمية . ولنا على خطة التأليف الملاحظات الآتية :

١ - اقتصر المؤلف على ذكر المطبوع من آثار الأديب وحبذا لو ذكر المهم من غير المطبوع أيضاً ، لاسيما وأنه لم يخصه الطلاب المدارس الثانوية فقط بل جعله مرجعاً للأساتذة والمدرسين وطلاب الجامعات أيضاً .

٢ - لم يذكر المراجع غير العربية التي تتعلق بالأدب أو الموضوع العام مع شدة حاجة المدرسين وطلاب الجامعات إليها ، وعذره في هذا رغبته في اخراج الكتاب بسرعة ليستفيد منه مطالعوه ، وأنه لم ينته من إعدادها وسيتداركها بعد .

٣ - عدم استقصائه جميع الكتب الأدبية التي صدرت حديثاً ولا سيما المدرسية منها ولعل هذا راجع إلى أن المؤلف لم يقدموا نسخاً منها الى دار الكتب اللبنانية .

٤ - يظهر أنه اعتمد على المنهاج السوري القديم بعض الاعتماد فقد ذكر أبا نواس مثلاً في منهاج البكالوريا السوري ولبس موجوداً في المنهاج الحالي بل في المنهاج القديم وكذلك الشأن في ابن رشد ، وعدّ امرأ القيس وطرفة والاعشى والخنساء وغيرهم في منهاج البكالوريا ولبسوا كذلك بل هم في منهاج

الصف الخامس وأعلّ عذره في هذا أنه عدّ الدراسة الأدبية في مختلف الصفوف الثانوية حلقة واحدة ، ولم يذكر أن المنفلوطي موجود في المنهاج السوري مع وجوده فيه ، وكذلك الشأن في قاسم أمين وربما في غيره أيضاً ...

ومن الهنات التي وقعت في الكتاب ذكر كتب الزوزني والسيوطي بين الكتب الحديثة التي اعتمدها المؤلف ، كان ينبغي ذكرها في مكانها بين الكتب القديمة ، ومنها ذكره أن خالد بن يزيد هو حكيم آل مروان ، وهو في الحقيقة حكيم بني أمية لابني مروان خاصة لأنه ليس منهم بل من آل أبي سفيان ، ومنها إدراج ابن المقفع في الدور الثاني العباسي مع أنه في طليعة الدور الأول العباسي ، ومنها قوله عن الشربف الرضي : إنه يتفرد بالثناء وليس الأمر كذلك .

ويظهر فرق جلي بين أسلوب المقدمة وأسلوب تراجم الشخصيات والأبحاث العامة فهذا الأخير سهل صحيح واضح ولكن أسلوب المقدمة لا يخلو من الإيهام والتعقيد وأنه أقرب إلى الأسلوب الغربي منه إلى الأسلوب العربي (مثال ذلك ص ج من المقدمة من قوله : وهكذا حتى قوله لم يستكمل أدائها) ، ويرجع كثير من هذا إلى نقص حروف العطف بين الجمل (مثال ذلك ص هـ س ٢ قبل قوله توخّوا فوضع الواو هنا ضروري) وإلى تعديّة الفعل غير المتعدي مع ضرورة ذكر حرف الجر (مثال ذلك المقدمة ص و س ١٠ فينبغي وضع يبحث مستقل مكان : بحثاً مستقلاً) .

وقد وقع خطأ في ترتيب الصفحات نشأ عنه تشويش واضطراب في الكتاب فجاءت مصادر ومراجع الأعشى مثلاً بعد ترجمة عنتره ومراجع عنتره بعد زهير ومصادر المعلقات بعد ترجمة الأعشى وهكذا ...

وقد وقع في الكتاب من الخطأ المطبعي شيء ليس بالقليل ونرجو أن يتلافاه صاحبه في الطبعة الثانية ، كما جاء فيه بعض الخطأ اللغوي والنحوي وأعتقد

أنه يرجع الى السرعة في طبع الكتاب والى عدم تصحيح الخطأ المطبعي نفسه (مثال ذلك استعمال المؤلف ظهرها مكان أظهرها ص ١ ، وبغمرها مكان بدعمرها ص ج ص ٧ ، والتقريبية الجافة مكان التقرير الجاف ص د ص ١١ ، واليه مكان اليها ص ح ص ١٣ ، والتفكيك مكان التفكك ص ل السطر الاخير ، والتعلية مكان التعلية ص م ص ١ ، والتطوير مكان التطور ص ن ص ١ ، وبشد للعلم مكان بشد العلم ص ن ص ٣ ، وترك جملة كذلك يبدو ص م ص ١ ناقصة المعنى تحتاج الى تكملة .

وهذه الهنات ليست شيئاً يذكر بالنسبة الى الجهود الطيبة التي قام بها المؤلف في هذا الكتاب وسدده فراغاً كبيراً في المكتبة العربية والدراسة الأدبية فإليه أقدم خالص تهنئي وشكري .

زعيم المحمي

المجموعة الاقتصادية السنوية

لغرفة تجارة حلب

أصدرت غرفة تجارة حلب : (المجموعة الاقتصادية السنوية) لعام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) . وهذه المجموعة السنوية ، قد اعتادت الغرفة على إصدارها ، منذ اثنين وثلاثين عاماً ، وهي سنة حسنة ، لأن فيها فوائد جزيلة ، اذ توضح كثيراً من الأعمال الاقتصادية السورية ، وتدعمها بالأرقام .

وقد صدرت هذه المجموعة بكلمة من وزير الاقتصاد الوطني ، قال فيها : « لا بد من إيجاد سياسة اقتصادية انشائية قوية وثابتة ، ولا بد من تعاون وثيق بين الشعب والحكومة في الميادين المذكورة » .

وانه يرى :

« أن واجب الحكومة تشجيع تأليف مثل هذه المنظمات وتميزها ، لينتسب لها القيام بما تتطلبه منها اقتصاديات البلاد في مراحلها المختلفة » .
وهي كلمة طيبة نرجو تنفيذها .

وللأستاذ محمد سعيد الزعيم ، نائب رئيس الغرفة ، تقرير ضاف عن :
(الأحوال الاقتصادية العامة في سورية) بحث فيه عن التجارة والعلاقات التجارية مع الخارج ، والعلاقات الاقتصادية بين الأقطار العربية ، والحالة الاقتصادية بين سورية ولبنان ، وتطرق الى البحث عن هيكل الاقتصاد السوري ، والصناعة السورية ، وما تنتجه معامل الغزل والنسيج والاسمنت ، وحاجتنا الى بعض المعامل ، لتصبح صناعتنا قوية ، ثم بحث عن الزراعة والتوسع الزراعي ، وما يرجى للبلاد من ازدهار الزراعة ، وخاصة بعد ان انتشرت زراعة القطن في شمالي سورية : ونجحت زراعته ، وارتفعت أسعاره كثيراً ، حتى أصبحت مغرية للزارع ، وان الزراعة في حاجة الى آلات وأموال ، ثم ذكر مرئاً اللاذقية ، وفائده على البلاد ، وهو بمجموعه تقرير حسن .

وقد تعرضت هذه المجموعة للمفاوضات بين سورية ولبنان ، وسردت أسماء تجار حلب ، وبحثت في التجارة العامة ، والودائع والسلف والنقد المتداول ، والأسعار في حلب ، وآراء الغرف التجارية العربية ، والقوة المحركة والوقود ، وشبكة البترول في الشرق الأوسط ، وزيارة المغتربين السوريين واللبنانيين الى حلب ، والمشاريع والأعمال الصحية ، والأشغال العامة في حلب والشركات فيها ، والخطوط الحديدية الشمالية ، والصلة بين التجار والحكومة ، والتجارة بين سورية وتركيا . وصفوه القول : ان هذه المجموعة هي مفيدة ، وان التجدد الذي تدخله الغرفة التجارية الحلبية عليها ، بين سنة وأخرى ، بوجوب التقدير والشكر .

آراء وأنباء

استقبال عضو عامل جديد

عقد المجمع العلمي العربي جلسة - ١٧ أيار سنة ١٩٥١ والموافق لـ ١١ شعبان سنة ١٣٧٠ لاستقبال العضو العامل الجديد الدكتور منير العجلاني . وقد رحب به الأستاذ شفيق جبري بكلمة نوه بها بنشاطه الأدبي ، فرد عليه الدكتور العجلاني شاكرًا للمجمع انتخابه عضواً عاملاً ومترجماً لسلفه المرحوم الشيخ عبد القادر المبارك . وفيما يلي الكلمتان المشار إليهما :

كلمة الأستاذ شفيق جبري

سيدي معالي الأستاذ الرئيس .

سادتي الأستاذة .

سيدي معالي الزميل الكريم .

وددت لو عهد بمجمعنا الى غيري من رجاله أن يقدمك وما خطر ببالي هذا الخطر الا بسبب الصداقة التي استحكمت أو اصرها بيني وبينك من عشرين سنة فاني أخاف اذا قدمتك أن تظهر آثار هذه الصداقة على تقديمي ولماذا أخاف هذا الخوف ، أفلا أجد من صفات شخصيتك وأدبك ما يهد لي سبيلاً الى الكلام دون ان يحسب للصداقة حساب وعلى ما به افي اشرع في تقديمك بحسب ما عرفت من هذه الشخصية وهذا الأدب دون شيء من الخوف .

أما شخصيتك وأرجو أن بغضي بمجمعنا على استعمال هذا اللفظ ، فالذي جوز لأخي الفرج الاصهباني ان يستعمل الأستاذية ولأمامنا الجاحظ أن يستعمل النارية

يجوز لنا أن نستعمل الشخصية ، أما شخصيتك يا سيدي فما أظن ان العشرين السنة التي قضيتها في صداقتك مكنتني من الاحاطة بها ، فقد كنت في خلال هذه السنين الطويلة أشعر اذا جمعنا الحامع بأنني بمحضر من لغز من الألغاز ، كنت أشعر بأنني ، اذا كنت لا أستعجن هذا التشبيه ، بمحضر من صندوق مقفل ولكنه صندوق مطلي بالذهب ، مرصع بالياقوت يشغلي بريق ذهبه ولعان ياقوته عن التفكير في معرفة داخله ، كنت اذا حدثتك بمحدث أشتغي أن تقع عينك على عيني حتى أعرف مقدار نفوذ هذا الحديث أذنك وقلبك ، كنت تصغي الي بأذنك وكان قلبك يشتغل بأمور ثائية ، وما أظن أنك تنفق دقيقة من دقائق عمرك دون التفكير في شيء واذا لم تشغلك يَـقَـطَـة النهار عن هذا التفكير فلم يشغلك عنه نوم الليل ، قد يظنك الانسان مغفياً ولكن اغفاءك لفكرة من الفكر فان لك ذهنًا وقادراً يظهر نشاط الحياة على كل ناحية من نواحيه والعهد بيني وبين هذا الذهن ليس بعيد ، أفلا تذكر لما كنا من سفتين في بيروت نسمع أقوال الذين يردون على العرب في اعتراضهم على دخول اليهود هذا المؤتمر الذي مموه «الادونيسكو» كنت أصد النظم وأصوبه في الخطباء الانكليز والاميركان وأستمع الى أقوالهم ويشغلني الاستماع عن كل فكرة وكنت الى جانبي لا تنظر الى واحد منهم ولكنك كنت تلهو بورقة أمامك بيضاء تحشد ذهنك وتجمع فكرك حتى تطلع على الخطباء بأقوال بدیعة اذا هي لم تنجح في جمهور القوم فقد نجحت في نفسك لأنك أرضيت بها فكرك وشعورك وعاطفتك حتى لا يعتب عليك هذا الفكر الواج و هذا الشعور اليقظ وهذه العاطفة اللاهبة وما أحسست بجراحتك على الكلام مقدار احساسي بهذه الجراة في «الادونيسكو» فاللغة التي تكلمت بها لم تكن لغتك ومع هذا لم تبال بالامر وهذا شأنك في أول دخولك مجلس النواب من خمسة عشر عامًا ، يخطب الخطيب الذي لا يجمع بينك وبينه حزب من الأحزاب أو مبدأ من المبادئ فتلهو سيف غضون خطبته

بورقة في يدك أو بقلم ويظن جليستك أنك مغف حتى اذا فرغ الخطيب من خطبته وسمعت في هذه الخطبة ما لا يرضيك نهضت من إغفائك الظاهر وانقضضت على المنبر واثن لم يكن لك على هذا المنبر زئير الأسد أو هدير الموج فقد كان لك عليه عندلة العنديل ، فما غردت الا سحرت النواب بأغاريدك واست أدري ما الذي حملك على الانقطاع عن هذا التغريد في مجلسك اليوم .

وكما كنت اذا حدثتك بمحدث أشتهي ان أعرف مقدار صلة قلبك بهذا الحديث كذلك كنت اذا أغضبتك او أرضيتك بلفظ من الألفاظ أشتهي أن أحيط بمبلغ هذا الغضب وهذا الرضى ، فعبثاً كنت أحاول هذه المحاولة فقد رزقك الله تعالى مناعة في ظاهرك دفعت عنك كل بلاء ، رزقك الله وداعة في خلقتك تشغل صاحبك عن النظر في معرفة ما وراء هذه الداعة وأعطاك رقة في قلبك تلهي صديقك عن الاهتمام بما بعد هذه الرقة ، فكنت اذا أرضيتك أو أغضبتك لا أرى بعد هذا الارضاء وبعد هذا الاغضاب الا الداعة والرقة فاقصرت على هذا الظاهر وان أجهد نفسي في معرفة الباطن ونعمت بصحبتك عشرين سنة كما ينعم الناظر الى صندوق مذهب مرصع ، بذهبه وترصيعه .

ولماذا نشغل أذهاننا بمعرفة البواطن اذا كنا ننعم بالظواهر ، لماذا هذه الفلسفة المتعبة في الحياة ، لماذا لا نأخذ من الأمور صفاءها وحده اذا كان لنا في هذا الصفاء ما يرضي ذوقنا وشعورنا .

لقد اخذت منك ياسيدي صفاء الظواهر ولم أتعب ذهني بالوقوف على البواطن وأظن أن أكثر أصدقائك نعموا مثلي بفتنتك ولكني أعتقد أن نعيمي بها كان أشد من نعيمهم فقد كانت الصداقة بيننا تشدد حيناً وتفتت حيناً ولكنها كانت صافية في الشدة والفتور ، فاستمرت في طبيعتها وما السر في هذا الاستمرار الا رقتك التي تدفع عنك غضب الغاضبين والا النعمة التي كنت أنعم بها في هذه الرقة ثم دارت بنا الأيام دورتها واذا بنا يجمعنا هذا المجمع فنطرح فيه أنفالنا فما نبالي

بعد اليوم بالظواهر والبواطن وإنما يهنا أمر واحد وهو الأدب الذي ناسب بيننا
معاشر رجال المجمع ، فحسنا نذوق لذته ونعيش بنعمته ونفخر بسلطانه •
ولئن شعرت بعجزى عن معرفة شخصيتك فهل أشعر بمثل هذا العجز عن
معرفة أدبك •

من حسن الاتفاق أن أستقبلك في مجمعنا في شهر أيار في غمرة الربيع فاني
أرى بين الربيع وبين أدبك صلة قوية ونسبة شديدة ، هذه أوراقك ياسيدي
بين يدي لم أطرحها إلا قبل بضع ساعات ، كنت أطلع هذه الأوراق في أواخر
الصيف الماضي في كوخى في بلودان وفي جوار هذا الكوخ فلاح من أهل القرية
يربى النحل في بيته ، كنت ألهو برؤية هذه النحل كل يوم ، كنت ألهو بها في
الصباح اذا طارت اتخذت من الجبال يوتاً ومن الشجر وما يعرشون وكنت ألهو بها
في الظهيرة اذا أكلت من كل الثمرات ثم دوت حول خلاياها وكم كنت أقول
في نفسي : ما أشبه أدبك ياسيدي بهذه النحل ، تطوف النحل فتقف على شجر التفاح
أو المشمش أو الاجاص أو السفرجل ثم تعلق فتصعد في الجبال فتجني من
زهو الجردود ثم تعود الى خلاياها فيكون العسل خاتمة المطاف •

وهكذا أدبك ياسيدي ما فيه إلا أزاهير وأثمار وعسل فكان هذه الرقة
التي اختصك الله بها انعكست على أدبك في أوراقك فتحوت الى زهر وثمر وعسل
فكنت اذا تفتأت هذه الأوراق واستطلت بظلال غصونها وضربت بعيني في
الجدول التي تجري من تحتها وفي التعاشيب التي تنبسط من حولها أشعر بهذه
الرقة في كل ورقة من الأوراق وفي كل غصن من الأغصان وفي كل عشب
من الأعشاب •

ولكني لما وجدت شبهاً بين أدبك في أوراقك وبين النحل لم أجد الشبه في
الشهد وحده ، انك تعلم ياسيدي ان للنحل ابراً وما أظن ان أدبك خلا من أشباه
هذه الأبر •

لقد باركت لي في قصيدي «نجوى آدم» من عشرين عاماً وقلت : ان في الأفق الأحمر خيوطاً ذهبية تبشر بالفجر الرائع ثم قلت فيّ اني أطلت اني ثرت على تقاليد الشعراء فما عدت أحل في المكان الأسى لا المدح ولا الرثاء ولا الحكمة ولا النكتة ولكنني أصف الجمال حيث وجدته وستكون قصائدي صوراً كاملة مثل صور الرسام وقطع الموسيقى .

لقد أبطأت عليك ياسيدي في الشكر ومن قلة وفائي أن لا أشكر لك هذه المباركة الا بعد عشرين عاماً لقد كان في كلامك شهد مثل شهد النخل ولكننا لم نصل الى هذا الشهد الا بعد أن غمس فينا صاحبه ابراً مثل ابر النخل نحمد الله تعالى على ان ابرك ممزوجة بالمثل فهي لا تشبه ابر العقارب الممزوجة بالسم الزعاف ، انك لا تلسع لسماً ولكنك تقرص قرص النخل وهذا ما يزيد في محبتك الى الناس وفي منزلتك منهم ، أنك لا تبطش ببطش الجبارين ولا تعصف عصف الرياح العاتية ولكنك تحف حفيف الورق وتنسم نسيم الصبأ ، فأنت رقيق في غضبك ورضاك ، في فرحك وحزنك ، في انقباضك وانبساطك .

وكأني بك تقول وما هي الابر التي غمستها فيك لما ذكرت قولتي الذي ذكرته انك ياسيدي لم تغمس ابرك فيّ وإنما غمستها في المتقدمين .

انك تعلم ياسيدي بانني مولع بأولئك المتقدمين ، فعلى الرغم من اطلاعي على يسير من أدب الغرب وعلى الرغم من شغفي بهذا السير منه لا أعق الذين أورثوني أديهم ولغتهم فلولا هذا الميراث الضخم ما كنا شيئاً في العالم لولا هذا الميراث الذي انتقل إلينا من الجاهلية والاسلام ثم من بني أمية وبني العباس ما كان للعرب شأن في هذا الدهر فلا تعتجب عليّ اذا أولمت ببعض أدب القدماء ولا تلمني اذا كنت أدافع عن بعض مدحهم وراثتهم وحكمتهم ونكتهم .

اني ياسيدي لا أرى في المدح فناً باطلاً اني اذا قرأت أماديح المتنبي في سيف الدولة لا أشغل ذهني بسيف الدولة نفسه وإنما أشغله بالبطولة التي صورها

المتنبى فأبو الطيب في أماديجه كان يصور البطولة في أروع صورها وأكمل أشكالها وأتم صفاتها ثم ينفش له عن بطل يفرغ فيه هذه الصور وهذه الأشكال وهذه الصفات ، فالبطل الذي وجدته في عصره انما هو سيف الدولة فما كانت أماديح المتنبى الا المثل الأعلى في البطولة وما أظن أنك تنكر شيئاً من هذا المثل الأعلى لقد كانت أماديجه درساً في الأخلاق فان أخلاقنا في حاجة الى البطولة في كل حين وخاصة في هذه الساعات .

أظن أنك تستغرب قلبي وتستعد للانقضاء على استعدادك للانقضاء على خصمك في مجلس النواب وقد كنت خفت هذا الأمر منك ثم أمتني من أن أخافه رجوعك عن رأيك او تعديلك لهذا الرأي فقد قلت : وليس يجب علينا اذا أعجبنا بلون من العبقريات الغربية ان ننتقص عبقريتنا الوطنية ونرميها بالسُخف والجوهر بل يجب علينا أن نعجب بالصورة البارة مها بكن أسلوبها والى أبة مدرسة ينتمي صاحبها .

عندنا صور بارعة ولكنها لا تفتحني الى المدرسة اليونانية التي يكسبها بعض متأدينا تقليداً لا دباء غربيين . . . فهل نرمي بها بالبحر اكراماً لعميون المقلدين المجددين . نحن أنصار الجديد لا نصير له أكثر حماسة منا ولكننا لسنا أعداء لعبقية العرب ونحن مؤمنون بما آمن به « غوتي » من قبل ، ومؤمنون بأن أوفر الناس حظاً من الانسانية هو الذي يحسن الافادة من عبقريته ووطنه .

لاريب ياسيدي في أن ذكرى لهذا الكلام البارع الذي عدلت به رأيك يدخل الفرح على قلوب الذين بملقونك سيفه هذا المساء فهم على ما أظن مثلي لا يريدون أن ينقلبوا على المتقدمين ، ان جمعنا بعيش بالماضي وبالخاضر ولا يجوز له ان يقتصر على واحد منها فثق ياسيدي بانى بعد قولك الكرم وكلامك الطيب لا أفرط في عتابك ، انى أغلق باب العتاب وأعود الى عسلك المصنف والى ابرك الحلوة .

اعذرني اذا كنت لا أترك اوراقك ، هذه الأوراق التي تضمنت أفكاراً تنكرها اليوم واساليب تعانها ، هذه الأوراق التي اردت ان يسموها اوراق الخريف حتى تتعري منها كما يتعري الشجر ولكنك لن تتعري منها ولن تستطيع ان تتعري الا اذا استطعت ان تتعري من قلبك وروحك فهي تلازمك كما يلزمك ظلك ، قد تبدل افكارك ويزيد طمك وتمدد ثقافتك ولكن روحك واحدة في اوراقك ، سواء اسميتها اوراق الخريف ام أزاهير الربيع .

وقد ظهرت آثار هذا العلم الزائد وهذه الثقافة المديدة على كتابك الجليل عبقرية الاسلام في أصول الحكم فانك لما رأيت كما قلت ياسيدي في هذا الكتاب نقرأ من المنششرين يزعمون ان العرب المسلمين خرجوا من البادية لا يعرفون ادارة ولا نظاماً فلما استقروا في الشام والعراق ومصر أخذوا عن شعوب هذه البلاد نظمها الادارية والمالية والقضائية بل أخذوا معها حتى الموظفين الذين يقومون عليها لأن العرب كانوا رجال حرب وما كانوا يصلحون الا للحرب لما رأيت هذه المزاعم قلت في صدر كتابك : هذه المزاعم وأضرابها هي التي حفزتني الى الكتابة في تاريخ الحكم الاسلامي ذلك انني التمت جواباً عليها مقنناً في الكتب التي تتداولها الأيدي في هذا الفن فلم أجده وانما وجدته متفرقاً في كتب الأدب والتاريخ والتفسير والحديث والسير .

انك ياسيدي لم تظهر في كتابك الجليل عبقرية الاسلام وحدها وانما أظهرت عبقريتك ، واذا كنت تهتذي في بهذه العبارة في تعريف كتابك عبقرية الاسلام في أصول الحكم أو في التنبيه على قدر هذا الكتاب فدعني أرجع الى روحك فهي واحدة في اوراقك سواء اسميتها اوراق الخريف ام سميتها عبقرية الاسلام في أصول الحكم .

لقد منحك الله ياسيدي قدرة على نوع من تنسيق الكلام لم ينتجه الا قليلاً من الكتاب واني أحار في امم هذا النوع من التنسيق ، انك تندفع في الكلام

على رجل الدولة بوجه عام فتعرفه وتصفه وتحصي ما يفتقر اليه من علم او خطابة او استقامة او كتمان او شجاعة او اناة او تجرد من الهوى او معرفة بالرجال هذا كله يمليه عليك علمك وثقافتك وقد تهتدي في هذا اليوم الى صفات ثمانية أكثر من الصفات التي ذكرتها ولكنك لا تهتدي الى شيء أكثر مما أوحاه اليك قلبك انك لا تستطيع ان تختم مقالك الا بمثل هذه العبارة :

«أيتها السيامي لا يكن همك ان بقدرك الشعب وليكن همك أن تحسن ليقدرك خالق الشعب» .

لقد تنتقل من الكلام على رجل الدولة بوجه عام الى الكلام على أحد رجال الدولة واني لأشعر بأنك لا تريد أن اسميه وأنا اشاركك في هذا الشعور وأطوي مقالك فيه حرمة للموتى ولكني أستأذنك في ذكر عبارة منه وهي العبارة التي تدل على طرز روحك في أدبك ، أرجو ان تسمح لي بأن أقول لاخوانك في المجمع ان هذا المقال ينتهي بهذه العبارة :

«فاذا جاء وطني الى الحكم بعد اليوم فليذكر انه ملك للدولة وان الدولة ليست ملكاً له» .

يمثل هذه الروح خفّ أدبك على القلوب فاستلذته واستطابته وثق ياسيدي بأني أول المستلذنين المستطيبين وكم كنت أود لو ثبتنا على الصحافة في الجرائد التي تعارنا على انشائها وما أتمنى ما تميت الا لأمر واحد ، لهذه الخفة في أدبك وأسلوبك واطن انك آسف في أعماق قلبك على ترك الصحافة وانك ذاكر قول احد رجال فرنسة «الصحافة أكبر من كل وزارة» .

انك ياسيدي في ترك الصحافة حيناً وفي التفكير في الرجوع اليها حيناً آخر حملتني على ان اقول انك لم تشبه النخل في أدبك وحده ، وانما اشبهتها في حياتك كلها ، فكما نرى النخل مولعة بالانتقال من شجرة الى شجرة ومن ثمرة الى ثمرة فكذلك رآك الناس مولعاً بحب هذا الانتقال في حياتك كلها آخذاً بقول «فيكتور هوغو» في بعض كتبه :

انك لا تمدح الرجل اذا قلت فيه ان رأيه في السياسة لم يتغير من أربعين سنة ، معنى هذا انه لم يستفد تجربة في أيامه ولا قلب فكره في الأمور ، اذا مدحت رجلاً على هذا الشكل فكأنك تمدح الماء الراكد او الشجرة الميتة ، كل شيء يتغير في الرأي فلا شيء مطلق في أمور السياسة ما خلا الناحية الأدبية الباطنة في هذه الأمور وهذه الناحية انما هي مسألة ضمير لا مسألة رأي فمن الممكن ان يغير الانسان آراءه دون أن يثلم شرفه ، على شرط ان لا يتغير ضميره وسواء أكانت الحركة الى الأمام أم كانت الى الوراء انما حيوية انسانية اجتماعية .

الخبجل ان يغير الرجل رأيه لمنفعة ، الخبجل أن ينتقل الانسان فجأة من الأبيض الى الأسود سواء أكان الدافع الى هذا الانتقال درهماً أم كان ديناراً . لم تكن ياسيدي في سياستك ماءً راكداً ولا شجرة ميتة انك مولع بالحركة ، لأنك وجدت فيها مظاهر الحياة والانسانية والاجتماع واذا انتقلت فجأة من فكرة الى فكرة في سياستك فلم يتغير ضميرك في هذا الانتقال ويشهد الله ان الناحية الأدبية الباطنة في أمورك لم تثلم ، فقد كنت في حياتك وسياستك ووزارتك عفيف اليد ، عفيف القلب ، ولم تجتمع هذه العفة لكثير من الناس !

مالنا وللسياسة .

مالنا وللوزارات .

سادتي أساتذة المجمع !

لقد دوت في خليتكم نحلة جديدة ، فالعقوا عسلها وعوذوا بالله من إربتها .

شفيق جبري



كلمة الدكتور منير العجلاني

سيدني معالي الرئيس الخليل ، صاحب المجمع ، سادتي الأجلاء
 ما أخطأ العميد شفيق بك جبيري التشبيه ولا ظلمني ، ولكنه أصاب وأنصفتني ،
 فأنا نحلة ... نحلة طوفت في السهول والحقول ، والرياض والغياض ، تطلب
 الزهر النديان والعشب الريان ، لتحمل منها ، جنى طيباً ، الى أمراء ينتظرونها
 في مملكة الخالدين ، نحلة لم تنس موعدها ولم تنحن سيدها ؛ ولكنها تكثرت ،
 فتأخرت ؛ بدأت كتاباً في التاريخ أسمته « علي ومعاوية » وبدأت كتاباً آخر
 في القصص أسمته « المطلقه » وبدأت كتاباً ثالثاً في السياسة أسمته « الفقه
 الدستوري » يقع في ازبد من ألني صفحة : كتب ثلاثة كانت ترجوا ان
 الحاجب الواقف على بابكم يعرفها بها ، فيدخلها عليكم موفورة الكرامة ،
 ولكنها ادركت بأخرة سوء فكرها ، فجاءت اليكم بضعفها وبفقرها ، كما
 جاءت المهدهدة الى ساجان : هديتها على مقدارها ، لأنه ليس في الدنيا هدية
 على مقداركم .

سادتي ،

من هذه المدينة ، خرجت طلائع الجند التي فتحت اسبانيا وصنعت معجزة
 الأندلس ، من هنا طار صقر قریش ، من هنا خرج القادة والسادة ، والعلماء
 والفقهاء ، والشعراء والأدباء ، والصناع والفلاحون ، يحملون مشعل الحضارة
 العربية الى الغرب الفارق في الجهالة والضلالة ، فاذا جاءت الى بلادنا بيوتات
 كريمة من المغرب ، فانها لا تفقد علينا جالية أجنبية ، وانما هو المغترب يرجع
 الى الوطن ، بل الطير يعود الى عشه الأول ، تسوقه غريزة لا تحطئ .

منذ مئة وعشرة أعوام ، استقبلت دمشق قبضة من أشرف الجزائر وعلمائها ،
 فروا من الوطن الى الوطن ، وكان جند فقيدنا الكبير في مقدمة هؤلاء النازحين

أو العائدين الذين توارثوا العلم والفضل كائناً عن كائناً ، وقد ولد له ولد أسماه «محمد» علّمه فأحسن تعليمه ، فكان عالماً أديباً مثديناً زاهداً ، يقبل الناس على دروسه اقبالاً منقطع النظير ، وولد فقيداً من محمد هذا ، رحمه الله ، وقد سمي عبد القادر ، تيمناً بالأُمير عبد القادر الجزائري ، وكان أبوه راضياً عنه ، معجباً بذكائه وخلقه وجده ، وهو الذي علمه مبادئ اللغة والدين ، ونشأ تنشئة صالحة ، ثم أرسله الى المدرسة الرشدية العسكرية فلم يلبث فيها الا قليلاً ، ثم عاد يقرأ على أكابر الشيوخ التفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة ، ويرع في كل أولئك ، ولكنه آثر الاختصاص باللغة ، وأدرك أبوه ذلك فطلب منه التوفر على شرح مقصورة ابن دريد ، ففعل ، وفي عام ١٩١٠ أقامت الحكومة مسابقة لاختيار أستاذ لتدريس اللغة العربية في المدرسة السلطانية بدمشق ، ففاز فقيداً فوزاً مبيناً ، وبقي أستاذاً للغة في هذه المدرسة نحواً من ثلاثين عاماً ، لم ينقطع عنها الا مدة يسيرة ، درس خلالها في المدرسة الحربية وفي مدرسة الأدب العليا ثم درس في دار المعلمين العليا ، وتذكر لنا مقالة نشرتها مجلة المجمع انه انتخب عضواً في لجنة التعريب (التي كان لها أثر جليل في تعريب كثير من المصطلحات الادارية والعسكرية وغيرها ، وانه كان من أجل أعضاء المجمع وأقدمهم ، رافق المجمع منذ تأسيسه وساعده بعلمه وعمله .. واشترك في كثير من لجان التصحيح والتعريب .. وكانت اللغة أبرز نواحي الشيخ .. فقد شغف بدراساتها منذ حداثة واشتهر باطلاعه الواسع عليها وتفوقه فيها حتى عرف بالقاموس السيار ، وكان له ولوع خاص بالشعر الجاهلي والغريب من اللغة ، وكانت معرفته باللغة معرفة تحقيق وتدقيق ، فقد يستدرك على كتب اللغة والمؤلفين وأصحاب المعاجم ، فكان حجة في هذا الباب ، فلا تكاد نسأله عن لفظة حتى يذكر لك معناها وما ورد فيها من الشواهد من كلام العرب وما يدور حولها وبمناسبتها من النواذر الأخرى ، ومن نواحيه التي اشتهر بها أيضاً ، السيرة

وتراجم الرجال ، فكان رابطة حافظاً للأخبار والتراجم ، كثير الولوع بمطالعة كتب التاريخ والتراجم ، حتى يكاد يعرف ما ورد في ثناياها من الطرف والأخبار ، أمثال وفيات الأعيان ومروج الذهب وابن عساكر الخ . . .
سادتي ،

ذلك ما كتبته مجلة المجمع ، وهو قول حق ، فقد كان أستاذنا الكبير من أعلم الناس بفقه اللغة ، ومن أحفظهم اشواهدا وشواردها ، لا يمل طلبها في مظانها ، ثم لا يمل تأديتها الى جمهور طلابه واخوانه ، كان زنجي اللغة ، وأسألكم العفو عن هذا التعبير أصف به سيداً حلالاً ، انما أحبي بذلك وصفا لابن عبدون ، وجدته في رسالة الرقيق ، قال : لو وقع الزنجي من السماء الى الأرض ، ما وقع الا بأيقاع .

أفترقم وصفاً أبلغ في الدلالة على غلبة الصنعة ، تغلغت في كل ذرة من ذرات الجسم ، وعلى قوة الطبع ، يبرز في كل حركة من حركات النفس ؟ كذلك كان فقيدنا الكبير ، لو وقع من السماء الى الأرض ، ما وقع الا بلفظة يهجها ، أو كلمة بفسرها ، أو بيت بفشده ، أو مثل يردده ، كان فقه اللغة ، صنع رجلاً .

سألني مجلة « الأدب » ، يوماً ، من هو الكاتب ؟ فاستعرت لها كلمة منذر ابن واصل ، قيل له كيف شهوتك الى الأدب ؟ فأجاب : أسمع بالحرف منه لم أسمع ، فتود أعضائي لو أن لها أسماعاً تنعم مثلما تنعمت الآذان .
لقد حقق فقيدنا المبارك أمنيته ابن واصل ، فكانت أعضاؤه تنعم بما بلذه من لفظ أو معنى مثلما تنعم أذناه ، وكان يؤدي هذه الألفاظ والمعاني الى الناس على صورة مخصوصة ، هي : « الصورة المباركية » . كان كلامه الحركة تتكلم ، وكانت حركته الكلام يتحرك ، بل الكلام يرقص ، حضرت بعض مجالسه ،

رحمه الله ، فكنت ممن يرى أمواج البحر تتلاطم ، ولو رأيته ساكناً صامتاً ، لبقيت له في نفسي صورة البحر الهائج .

كان يدرس اللغة في قاعات كبيرة ، بين أيدي طلاب خبثاء ، فجعلته سعة القاعة يتكلم كمكبر الصوت ، وجعله خبث الطلاب أشد منهم مكرراً ، فان رغبوا عن العلم فقد عرف كيف يرغبهم في العلم ، بأسلوب بارع يفتح به مغاليق نفوسهم ، وينشط عقولهم ، وهذا الأسلوب ينتقل به بين نصح الواعظ ، وسخر المضحك ، ونكتة الظريف ، ومنطق العالم ، ولعل من نجاحه العميق انه كان مؤمناً برسائله ، مبشراً بمعتقداته ، ينزل الى مستوى طلابه ، ولا ينتظر منهم أن يصعدوا الى مستواه . من الأساتيد من يجلس على المنبر لا يفارقه ، أما المبارك فكان بذرع قاعة الدرس ، شمالاً وجنوباً ، وشرقاً وغرباً ، كان كل مكان في القاعة مكانه ، ولم يكن مكان في القاعة مكانه ، ولو أن طالباً في أقصى الصف همس في أذن رفيقه همسة ناعمة لسمع لها من فم الأستاذ الجواب الذي يرتضيه التلاميذ كلهم ، ولا يرون جواباً أحلى منه ، وانهم ليتضاحكون له مهما يكن شديداً عليهم ، فقد حبه اليهم انه يحبههم وانه صريح لا حد لصراحته .

ترك لنا الأستاذ المبارك كراسات صغيرة مدرسية ألفها في أول عهده بالتدريس ، ولا يصح في رأبي أن يعول عليها في تقدير مبلغ علمه واطلاعه ، ولكنها تدلنا على ناحية لطيفة في (تحول) أسلوبه فقد كانت كتابته سهلة جداً ، لا أثر للتكلف فيها ، وانك لتطلب فيها اللفظة الغريبة فلا تجددها ، بل ان المبارك ليدعونا هو نفسه الى اطراح التكلف ونبد الغريب . قال لطلابه في المدرسة الحربية ، يعلمهم واجبات الخطيب : ليكن أول ما يطرق أسماع مخاطبيه لتبذل الألفاظ ومأنوسها لأنها مغناطيس القلوب . وقال لهم في دروس الانشاء الرسمي : «يشترط فيه ان يكون بلغتها الرسمية مع تجنب الكلمات الغريبة والوحشية ،

والعامية والأجنبية ، وان تكون عبارته جزلة ، مثبنة ، جدية ، صريحة سيف
افادة المرام » .

لقد جنت على فقيمدنا الغالي قصيدته القافية المشهورة :

(لم يامهيب الجدهيب الراقي الحسن منظر ثوبه البراق ؟)

وما زال الناس يجدون فيها الدليل على تكلفه وولعه بالغريب . يقول قدامة
ابن جعفر ، في كلامه على عيوب اللفظ وحوشي الكلام : « هذا الباب مجوز
للقدما ، ليس من أجل انه حسن ، لكن من شعرائهم من كان اعرايياً قد غلبت
عليه العجرفة ، ومست الحاجة الى الاستشهاد بأشعارهم في الغريب ، ولأن من
كان يأتي منهم بالحوشي لم يكن يأتي به على جهة التطلب والتكاف ،
لما استعمله منه ، لكن بعادته وعلى سجية لفظه ، فأما أصحاب التكاف لذلك
فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبذ عنه السمع » .

وفي اعتقادي ان المبارك ، رحمه الله ، عاش في دنيا هذا الشعر القديم ،
يفسره لتلامذته ، وأصحابه ، ويظهر لهم ما خفي من محاسنه وجعل ذلك ديدنه
وهجيره ، حتى استأنس بغريبه ، فاستعمله في شعره غير متكاف ولا متعجرف .
سادتي ،

كانت اللغة العربية معشوقة المبارك ، ولولا التقى لقلت مع الحريري : معبودته
جالت قدرتها ، وفي تشديد الحرص على أن أقرأ لكم صفحة نشرتها له مجلة المجمع
في عنوان لغة المتنبي ، فان هذه المقالة لا تصف المتنبي ، وانما يصف فيها المبارك
نفسه . قال : « أبو الطيب له ولع ودربة باستعمال الفصح في شعره ونثره
وسائر كلامه ، فاذا حاول العدول عن منهاج اللسان المغمري القديم لم يستطع
اليه سبيلا فما أصدقه في قوله :

وكلمة في طريق خفت أعرايها فيهندي لي ، فلم أقدر على اللحن

... فالتنبي يسسهل بذل نفسه في سبيل صيانة لغته التي يفديها بروحه ،
 وكأنه يقول ، لا بارك الله في الحياة بعد ضياع اللغة . من أجل ذلك رأى
 ارتكاب ما فيه خطر على حياته أهون من ارتكاب ما فيه خطر على لغته .
 ... ومن أشباهه في الشفنة ذلك الأمير جبلة بن عبد الرحمن الذي كان
 يكتب باللسان المبين أسماء الأطعمة التي يريد في رقاد يبعث بها إلى طاهيه ،
 وكان هذا لا يقدر على الاستقلال بفهمها لضعف عربيته فراجع ابن أبي اسحق
 الحصري أو يحيى بن يعمر العدواني للاستيضاح عما كتبه له سيده جبلة في
 تلك الرقاد ، فإذا عرف ما فيها من أنواع الأطعمة أتاه به ، وكانت
 أجل ذلك يبطئ عليه في احضارها فقال له : ويحك أيها الطاهي ما بالك تبطئ
 كأنك تريد باطائك أن تحملني على الصيام ،
 فقال له الطاهي : سهل كلامك أسهل طعامك .

فقال له سيده : يا ابن اللخناء ، أفأدع عربيتي من أجل عيك !
 ... لا جرم أن هؤلاء المطبوعين في كلامهم أن يعجبوا من يلحن ويثاؤون
 بالأعراب ويحيد في كلامه عن سنن الصواب ، كالأعرابي الذي كان يقول :
 عجت للتجار الذين يلحنون فيستطيعون مع لحنهم أن يربحوا في متاجرم ،
 وكذلك سمع بعض الخلفاء في العهد العباسي يلحن في كلامه ، فقال : لولا
 القضاء والقدر لما قدر أن يكون هذا خليفة ، ولكن قدر فكان .

* * *

هذه هي نظرة المبارك إلى اللغة ، كانت عنده معيار عظمة الرجل أو حقارته ،
 فن ربح في تجارته أو ساد في أمارته ولم يكن يعرف اللغة فإنه غني حرب ،
 على حد التعبير العصري ، لم يتأدب بأدب الفضلاء ولا استحق الثروة التي له ،
 وينبغي للناس أن يحقروه .

ترك لنا الفقيد كتاباً واحداً ، يصح ان يسمى كتاباً هو ، شرح مقصورة ابن دريد ، ولم يطبع حتى اليوم ، يقع هذا الكتاب في نحو ٨٠٠ صفحة ولعله لا يزيد في الطبع على ثلاثمائة صفحة ، وفيه فوائد كثيرة لغوية وأدبية ولا يخلو من فوائد تاريخية ، كقصة الزباء وغيرها ، وأرجو ان يطبعه مجمعنا الحبيب ، فان لم يفعل استأذنت أبناءه بالافدام على طبعه ، حتى ينتفع به الناس ويقف شاهداً على فضله ، أما الشهود الآخرون ، فهم طلابه ، لأن الفقيد كان معلماً قبل كل شيء ، وفوق كل شيء ، مثله في ذلك كمثل سقراط في الروم ، لم يخلف كتاباً ، ولكنه خلف طلاباً .

سادتي ، قرأت في بعض كتب الأخلاق ان رجلاً دخل روضة جميلة ، تمهدت طرفها ، وتناسقت أشجارها ، وتألقت أزهارها ، فوجد على كل شجرة لوحة كتب عليها اسم الذي غرسها او اهداها ، تنطق بفضله وتدعو الى التشبه به ، ولكن الذين علقوا هذه اللوحات نسوا شيئاً واحداً ، نسوا ان هذه الروضة كانت مستنقعا موبوءاً ، تحيط به التلال والأخاديد ، ويفمره الشوك والحشيش والفطر ، وان الذي أعدها للحياة ، واستحق ان يذكر اسمه مع كل الأسماء ، هو شيخنا عبد القادر المبارك ، فان كان لم يغرس شجرة ، فقد مهد الأرض التي غرست فيها الأشجار ، وغذاها ورواها ، رحمه الله .

* * *

سيدي العميد جبري ،

كانت خطب المجامع في فرنسا خطباً متزنة ، متسكفة ، ليس فيها معنى بكر ولا فكر حر ، وانما هي قطع بيانية وبدعية ، حتى قيل في وصف كل خطاب ضخم الألفاظ ، هزيل المعاني انه خطاب جمعي (اكاديميك) ، بل ذهب «ده موزه» الى أبعد من ذلك ، فشبه عراء حسن ، في قصيدته «نمونه» بعراء الخطب

الجمعية . فأين هذا من خطبنا ؟ ان كلامك ياسيدي العميد لو قيل في عصر دي موسى ، لشبه به كل شيء جميل وكل معنى لطيف . لقد قلبت تقاليد الجامع رأساً على عقب ، وجعلت استقبال المجمع شبيهاً باستقبال مدرسة سان سير ، فان كان المثل يقول : رب رجل يقاد الى الجنة بالسلاسل ، فانك قادر على ان تقود الرجل الى الجنة بل الى النار ، على نفات مزمارك الملمم وهو راض وقرير عين .

سيدي العميد ،

لا أجيز لنفسي ان انبه على عبقرتك وان ارد ثناءك بمثله ، فالثناء في المجمع يوهب ولا يباع ، وقد أوكل اليك التعريف بي ، وأوكل إليّ التعريف بالاستاذ المبارك ، وما ينبغي لأحدنا ان يخرج من الدائرة التي رسمت له ، ولكفي استأذنا في توضيح بعض ما خفي من امري ، وليس في العالم شيء يلتبس عليك . . . ، ولكنك أردت ان تدفع عني شيئاً مما توهمه بعض الناس ! بدأت بتغيير الرأي ، فأغدقت عليه من الثناء ما حبيه الي وجعلني اتملق به . بالغ (روسو) في وصف الطبيعة الوحشية والتغني بمفاتها ، حتى قال له (فولتير) مداعباً : لقد عدت أنشئ المشي على أربع !

وانا ايضاً عدت أنشئ تغيير الرأي كل يوم . ومن أين ؟ وانا اكثر تمسكاً برأيي مما يظن ، وما ينسب الي من تغير وتحول ، ليس أكثر من وهم ! ان الذين عملت معهم هم الذين غيروا آراءهم او تغيروا ، واما انا فبقيت ثابتاً ، وما بدأت تبديلاً . يقول بعض الكتاب الغربيين ان الناس في المكسيك لا يسألون عن الرجل من أي حزب هو ؟ ولكنهم يسألون : من أتباع أي رجل هو ؟ وهكذا الناس عندنا ، متى عملت مع رجل عدوك من أتباعه فاذا خالفه أو عملت مع آخر ، ارتكبت في نظرهم جريمة ، وكنت كمن يهجر جنسيته ويتخذ

لنفسه جنسية وطن آخر ، هذا هو الوهم ، فإن العمل مع رجل لا يعني الخضوع إليه أو الفناء فيه ومتابعته على الخير والشر ، وإني لأنزه نفسي عن مثل هذه العبوديات . ان التغير الذي ينسب الي نوع من خداع البصر ، يشبه قول الراكب في قطار ينهب الأرض ان الطريق تمشي ؛ وانا فوق هذا وفي لاختواني فان تنكروا لي لم أتنكر لهم ، ولم أفارقهم الا في مرحلة اليأس ولست أقول مع ابن الرومي :

حيي شديد وكذاك وجدي

للخير والشر بقاء عندي

كالأرض مما استودعت تؤدي

فانا أؤدي الخير ، ولا أرد الشر بمثله الا قليلاً ؛ ومتى ارتضيت لنفسي حزباً له أهداف ومناهج واضحة ، عرف الناس مبلغ تمسكي بالحزبية الصحيحة . لقد اعتذر لي العميد عن ذنب لم ارتكبه ، جزاه الله خيراً كثيراً .

ويذكر العميد ان لي ورقة أنلغى بالكتابة عليها كلما تكلم انسان امامي ! .. ان هذه الورقة لا تدل على الانصراف عن التحدث والسباحة في بحر الأخيلة ، انما هي عادة قديمة ، قد تكون موروثه وقد تكون مكتسبة ، ولكننا على كل حال نعين على تركيز الانتباه ، وأنا ، بعد ، وان كنت أنجو بقلبي وعقلي من بعض المجالس ، فإني لا افر الا من مجالس الجهلة والثرثارين ولو ملكت اكثر من عقل واكثر من قلب لأحضرتهما مجالس العميد جبري ، فليس شيء عندي أجدر بان يحرص عليه ويسار اليه .

أما تشبيهي بالصندوق المطلي بالذهب ، لا يعرف ما في داخله ، واكتفاء العميد بظاهري حتى لا يتعب نفسه ، فليس بالكلام الموجه ، الذي يحمل المدح والذم ، ولكنه أسلوب خاص في النظر الى الحياة .

كلا ياسيدي العميد ، انا لست اغزاً ، وانما انا رجل كسائر الناس ، وقد أكون أقرب الى الصراحة من كثيرين عرفوا بالصراحة . وليس أدب الحديث بما يؤخذ على دمشقي ، « فالتدمشق » عنوان الرقة والمجاملة ، ونحن من دمشق ، شئنا أم أبينا ، وليس نكريمك الضيف ليعني أنك ملزم ، بان تثني على سياسته في مجلس النواب مثلاً ، فحق الوطن عليك فوق حق الضيافة ، ورقة الانسان في مجالسه ، لا تستوجب منه الرقة في عمله الحكومي ، حتى يقال انه « منسجم » السيرة منسقه ، ولو ان احدنا كان مطالباً بان يدير وجهه عن كل رجل لا يحببه او لا يرضيه بعض خلقه او بعض عمله ، لرأيت الناس يمشون في الشوارع ورووسهم الى الأرض حتى لا يروا أحداً ، ولو تكاشف الناس بكل ما في قلوبهم لما استطاعوا ان يعيشوا .

وبعد ، فاعل سيدي العميد يصنع لي صنيع الأحرار ، يجرحني ليعطيني مكافأة على الجرح سهماً من ذهب ، أو لعلها مداعبة اليسوب للتحلة . . . يضيع فيها السم القليل في العسل الكثير ، وكأن هذا السم القليل عنصر من عناصر الجودة في العسل ، أو بمنزلة الدواء المقوي او المشهي .

بقيت نقطة أخيرة ، هي انكار العميد علي دعوتي الى أدب جديد وغمزي من قناة الشعراء القدامى ، فليعلم ، سيدي العميد ، أعز الله به الأدب والشعر ، ان الشعراء الأقدمين مفخرة من مفاخرنا القومية ، وقد أدوارسالتهم كأحسن ما تؤدي الرسالات ، وأنا لا أدعو الى تسفيهم أو تجاهلهم ، ولكنني أدعو الى اكمال رسالتهم .

ان الحضارة الحية عمل مستمر ، مبدع ، وليست متخفاً نصف فيه التماثيل صفاً لتعبد . لما أخذ العجوز (رو كفيار) ولده الفتى الى مقبرة الآباء ، قال له : يا ولدي عما قريب أموت وترثني ، فانظر ! ها هنا صورة الذي يبق ، ان تمجيد

الموتى ، سر خلودنا ، ما هي حياة الرجل ؟ ما هي حياتي ؟ ان كان الماضي والآتي لا يرسمان لها معناها وجهتها .

لقد ذكره بحق الموتى ، ولكنه لم يعفه من حق الحياة ، ذلك ان الحياة يبرز بين الماضي والمستقبل ، فن أراد الحياة ماضياً فقط ، فانما يريد الجود ، ومن أراد الحياة مستقبلاً فقط ، فانما يريد الجنون . ان الكعبة لم تنزل من الوجود ، يوم حطم الرسول الأعظم أصنامها ، فقد أودع فيها روحاً أقوى من كل تلك الأصنام التي كانت تسكنها ، وأنا لا ادعو الى تحطيم الكعبة ، كعبة الشعر ، ولكنني أدعودعوة الاسلام : نخطب الله بقلوبنا وعقولنا ، لا بقلوب الأصنام وعقولها .

ان اجدادنا نقطة انطلاق لنا ، وليسوا نقطة انتهاء ، والزمن لم يقف حيث وقفوا . لقد تركوا لنا لغة جميلة ، غنية ، تسع كل عاطفة وكل فكرة ، فما ينبغي لنا ان نقف منهم موقف ذلك الشاعر الذي أراد معارضة بيت من الشعر ، فأعاده . . كما هو ، ان هذا معناه التحجر والموت . لقد استمد أجدادنا شعرهم من حياتهم ، ويجب علينا أن نستمد شعرنا من حياتنا . هذا ما دعوت اليه ، وانا لا أبشر بعد بالسخافات الشعرية الجديدة ، فان الشعر المتين الرصين هو الذي يكتب له الخلود .

ظهرت في فرنسا في أوائل هذا العصر أربع عشرة مدرسة وهي : (الطبيعية) و (الانسانية) و (الترفية) و (الذروية) و (التركيبية) و (التمامية) و (الاغرائية) و (الاخلاصية) و (الكثيفية) و (الازدواجية او الثنائية) و (التكميلية) و (الدادائية او الحمارية) و (المستقبلية) و (الاجماعية) ، الى مدارس أخرى فوق الواقعية ، ووراء الخيالية .

كل أولئك مذاهب في الشعر قد نجهل في بلادنا حتى أسماءها ، ولكنها كانت في فرنسا ، مدارس لها قادتها وأتباعها ، ومنهجها ومجلاتها ودواوينها ولها بعد هذا كله نواديها ومقاهيها الخاصة !

أفتعرف أين ولدت هذه المدارس ؟ ولدت في مجالس الحشيش وحانات الخمر ، ذلك ان شعراء هذه المدارس الجديدة يزعمون أن « الواقع » شيء لا يؤبه له ، وان العقل عدو للانسان ، ينبغي له أن يتحرر منه . دخل رجل على جماعة من هؤلاء الشعراء وهم يدخلون السجائر في مقهى ، فقال لهم : لقد أسرفتم يا قوم في الخيال ، فعودوا الى الحقيقة والواقع ، فأجابوه : الواقع ! ما الواقع ؟ انه عقب هذه السجارة ، وأعقاب السجائر ترمى بها الأرض ، أما الدخان ، أما الخيال ، فهو وحده الذي نكرمه ، وهو وحده الذي يصعد الى السماء .

ما هو العقل ؟ العقل شيء يعقل لسانك وقلبك وجسمك ، شيء يجبر عواطفك ويبلد ذهنك ، العقل هو هذا القالب الفولاذي الذي « يضغط » على الفكرة ويسجنها ويسخنها .

.. ذلك لون من ألوان التفكير ، أو قلة التفكير ، أما أنا ، فن الذين يؤمنون بالعقل ، ولكن العقل الذي آمنت به هو العقل الذي يبجد وبولد ، لا الذي يسرق ويقلد .

سادتي ،

بقولون ان حياة الأديب تنتهي في المجمع ، أما أنا ، فلم تكن لي من قبل حياة أدبية ، وقد انتهيت في حب الأدب لا الأديب ، إن حياتي تبدأ اليوم ، إن شاء الله . والسلام عليكم .

منير العجلاني



خطاب آغا خان

في مؤتمر العالم الاسلامي ^(١)

لاتخاذ العربية لغة رسمية لباكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الرئيس - اخواني المسلمين .

باستطاعتي ان اؤكد لكم اني شاعر بخطورة ما سأقوله الليلة ، عالم تماماً ان هذا الكلام سيثير حولي منحنى جماعات من سكان البلاد لها مكانتها وقيمتها .
غذرتني اكون عاقداً للإسلام اذا أضعت هذه الفرصة الثمينة من غير أن ادلي بآرائي امام اهل هذه الدولة الاسلامية القوية الواسعة الأطراف ، هذه الآراء التي يحفزني واجبي الى أن أذيعها على المسلمين ، مقرونة بما يستوعبه مثل هذا الخطاب القصير من أدلة وقرائن .

اني أخشى ان يسيء بعض هذه الحجج اساءة شديدة الى أولئك الذين كانوا - في أحوال تختلف تماماً من الأحوال الحاضرة - قد وقفوا كثيراً من سني حياتهم بعاضدون القضية التي أعتقد أن أهميتها اليوم قد تضاعفت امام الأحداث العظيمة التي غطت عليها مما لم يحلم به أحد في تلك الأيام السالفة .
وانا أشعر ان التبعة عليّ في ذلك هي أعظم مما أعتقد انني أستطيع الادلاء فيه بحججتي امام اهل الباكستان المسلمين بمجموعهم - كل مقاطعة بمفردها ، وكل المقاطعات بمجموعها - بينما أرى اننا لم نخط بعد - لحسن الحظ - خطوة يمكن أن تكون قاضية على دستور هذه الدولة الفتية .

(١) المتقد في كراتشي في التاسع من شباط ١٩٥١ .

ان لغة أمة من الأمم ليست وسيلة للتعبير عن صوتها فحسب بل هي طريقة التفاهم بين جميع الهياكل الإنسانية الأخرى . وها انا ذاء الرجل العجوز ، أنضرع الى اخواني في الاسلام هنا ، قبل أن يسبق السيف العذل ، ان لا يقرروا الاردية نهائياً كلفة الباكستان الوطنية . بل أن يختاروا اللغة العربية ، راجياً ان يصغوا الى حججي في ذلك .

ان أول حججي ضد اتخاذ اللغة الاردية لغة وطنية هو : لو ان القسم الثاني الذي كان يؤلف مع الباكستان امبراطورية الهند البريطانية قد اتخذ الاردية لغته الوطنية ، لكان في ذلك للباكستان عذرها في أن تتخذ حذوه ، إذ تكون الاردية رابطة لغوية ونقطة اتصال عظيمة مع هذه الجمهورية الواسعة في الجنوب .

يشهد الله انني آخر من يريد أن يهدم اي جسر للاتصال والتفاهم بين الباكستان وجارتها الكبيرة . غير ان الواقع هناك ، ايها الأصدقاء ، هو ان اللغة الهندوكية قد حلت محل اللغة الاردية ومحل اللغة الهندستانية ايضاً ، كلفة وطنية .

ولقد كانت سكان الهند على حق في اختيار أمة لغة شاءوا لجمعها اللغة القومية ما دامت الأكثرية تعتقد أن تلك اللغة موافقة لها وذات صلة بتاريخها القديم . أما اختياركم انتم في الباكستان اللغة الاردية فليس من شأنه أن يحسن ولا أن يوثق صلاتكم مع جارتكم الجنوبية ، كما انه لن يساعد الأقليات المسلحة هناك مساعدة كبرى . ومهما أضفنا من كلمات عربية او فارسية جديدة الى اللغة الاردية فليس باستطاعتنا ان ننكر أن الفخو والتركيب وأسس هذه ، هندوكية لا عربية .

هل كانت الاردية لغة مسلمي الهند في ابان مجدهم ؟ كلا فهي لم تعتبر لغة

الحكام أثناء حكم الباتان الطوبل . وفي زمن المملكة المغولية المجيد لم تعتبر لغة المثقفين ، فهل بإمكان أحد من الناس أن يبرز رسالة كتبها أحد الأباطرة مثل اورنجزيب أو شاه جهان أو جها نجير أو أكبر أو همايون أو بابار باللغة الاردية ؟

انني أتحدى ! إن لغة البلاط كانت الفارسية وأحياناً التركية .

لقد قرأت الكثير مما كتبه اورنجزيب وكل ذلك باللغة الفارسية الجميلة . ومثل هذا يصدق أيضاً اذا زرنا تاج محل وقرأنا ما نقش على مدفن الامبراطور ومدفن حليته المشهورة .

وكذلك كانت الفارسية لغة البلاط ولغة الطبقات المثقفة الى أوائل القرن التاسع عشر . حتى في البنغال البعيد فات المثقفين من الهنودكيين اتخذوا الفارسية لغة الأدب والمخاطبة لا الاردية . وحتى أيام «ماكولي» ظلت الفارسية لغة الطبقات الارستقراطية في البنغال بصرف النظر عن اختلاف مذاهب البنغاليين . كما كانت أيضاً لغة الوثائق الرسمية ومجالس القضاء .

لنقف من الحقائق التاريخية وجهاً لوجه . ان الاردية أصبحت لغة الهند الاسلامية بعد ذهاب دولتها ، وهي لغة مرتبطة بعهد الانحلال . ان شعراءها العظام هم شعراء هذا العهد ثم ان ساسة هؤلاء العظام كان محمد اقبال الذي أوحى اليه حب احياء المجد الأدبي أن يهجر الاردية كلغة للشعر الى الفارسية . حضرت استقبالا أقيم على شرف اقبال نظمه رجال مثل البروفسور نيكلسون ، وقد قال فيه اقبال نفسه انه اتخذ الفارسية لغة شعره لأن الشعر الفارسي مرتبط بعظمة الحكم الاسلامي لا بحقبة انحلاله .

وبعد ، أفن الصواب أن تصبح لغة عهد الانحطاط لغة وطنية لما نتمنى أن يكون أعظم ما نصبو اليه من اليقظة القومية . ان كبار أساتذة الاردية

عاشوا في حقبة المهود والفسل . وفي ذلك الزمن كانوا على حق في استعمال لغة أصلها هندوكي أضافوا اليها عدداً من الكلمات العربية والفارسية ليجدوا سبيلاً للتفاهم بينهم وبين السواد الأعظم من مواطنيهم يومذاك . أما اليوم وقد انقسمت الامبراطورية الهندية قسمين قام فيها أمانان عظيمتان فان العالم بأجمعه يأمل من كلا الطرفين أن يطمئن نهائياً الى هذا الوضع . أنا أسألكم ، هل الاردية هي اللغة الوطنية الطبيعية لسكان الباكستان الحاليين . . ؟ هل هي لغة البنغال حيث تعيش أكثرية الباكستانيين المسلمين . . ؟ هل هي اللغة التي تسمعونها في شوارع دكا وشيتاغونغ . . ؟ أم هي لغة الحدود الشمالية الغربية أم هل هي لغة أهالي السند أم لغة أهالي البنجاب . . ؟

لا ريب في ان المسلمين والهندوكيين قد رأوا من الصواب بعد سقوط الامبراطورية المغولية أن يتخذوا في بعض المقاطعات لغة تجمع أنسنتهم ، ولكننا نحن اليوم في حاجة الى أشكال أخرى من الوسائل للوصول الى تفاهم متبادل .

من ذا الذي خلق الاردية . . ؟ وأين كانت منابعها . . ؟ وعن أي طريق أتت . . ؟

أما الذين خلفوها فهم حواشي المعسكرات ، وأما منابعها فكانت في صفوف المرتزقة الذين تجمروا حول البلاط الامبراطوري . أولئك هم الذين تبثوا تلك اللغة . وجعلوا - وهم يتسكعون في طريقهم المحلة - يحشرون الكلمات العربية والفارسية كلما احتاجوا اليها في نظام النحو من لغتهم الهندوكية كما فعل أحفادهم في الأيام الأخيرة حينما جعلوا يضيفون الكلمات الانكليزية من أمثال « جلاس » و « كب » ، تلك التي أصبحت جزءاً من اللهجة الاردية الحديثة التي تدعى بالهندستانية .

أتريدون أنتم الآن أن تجعلوا لغة المعسكرات أم لغة البلاط اللغة الوطنية لهذه الدولة الجديدة ؟

كل طفل مسلم ، أهله على شيء من اليسار ، يتعلم القرآن الكريم باللغة العربية سواء أكان من داكا في الشرق أم من كويته في الشمال . ثم هو يتعلم الأبجدية العربية ليتعلم القرآن . ان اللغة العربية هي لغة الاسلام . لقد نزل القرآن عربياً ، وجاءت أحاديث النبي عربية . وكذلك كانت ذروة الثقافة الاسلامية في الأندلس عربية . فعلى أولادكم كلهم أن يتعلموا شيئاً من العربية في كل حين . ثم ان هذا ينطبق على الباكستان الغربية في السند وفي بلوختان وفي الشمال .

واذا تأملنا الأمر من ناحيته العملية والعالمية وجدنا ان اتخاذنا اللغة العربية لغة قومية لا يتيح لنا فقط اتصالاً وشيكاً بأربعين مليوناً من العرب الذين يسكنون الى غربنا في دول مستقلة ، بل هو يوثق صلاتنا بستين مليوناً آخرين يتكلمون العربية الى حد ما ويعيشون في بلاد غير مستقلة في افريقية على الأخص . وإلى سواحل افريقية على المحيط الأطلسي نجد طبقات الشعب العليا تعرف العربية .

هذه المعرفة غير مقتصرة على الشمال بل هي تمتد جنوباً الى نيجيريا وشاطئ الذهب ، وفي جميع الأصقاع السودانية سواء منها تلك التي على ضفاف النيل أو التي تبين تحت الحكم الفرنسي ، نجد اللغة العربية لغة البلاد المنتشرة حتى تخوم الجزء البرتغالي من غربي إفريقيا . وكذلك نجد اللغة العربية معروفة في شرقي إفريقيا لافي زنجبار وحدها بل بين المسلمين من سكان البلاد المتراصة ما بين مدغشقر وبين شرقي أفريقيا البرتغالية .

أما اذا توجهنا الى الشرق لتتعرف الى مقام اللغة العربية فيه وجدنا ان الاسلام قد انتشر وازدهر بين ثمانين مليوناً من أهل اندونيسيا والملايو -

ثمانين مليوناً من المسلمين منشرين حتى جزائر الفيليبين . وفي سيلان نفسها يحرص أرباب الأمر الغنية على تعليم أبنائهم شيئاً من العربية . أو ليس اذن من الفائدة لدولة الباكستان القوية ذات المركز الجغرافي الوسط الذي تصل به بين مائة مليون من المسلمين الى شرقها وبين مائة مليون آخرين الى غربها أي من الفيليبين والدولة العظيمة أندونيسيا فالملابو فيورما ثم غرباً الى افريقيا حيث يعيش مائة مليون سوى من عددنا منشرين الى ضفاف الأطلسي . أو ليس من الصواب للباكستان أن تجعل اللغة العربية لغة قومية لها بدلاً من أن تعزل نفسها عن جيرانها العديدين وعن سائر العالم الاسلامي باتخاذها لغة أبرز خصائصها أنها تتصل بعهد المخطاط الدولة الاسلامية . وأخيراً ان العربية لغة عالمية للمسلمين نستطيع أن توحدكم بها الاردية تفصل بينهم وتعزل بعضهم عن بعض .

سادتي الكرام ، اخوتي في الاسلام ، يا شعب الباكستان ، يا أيها الشعوب المتفرقون في مقاطعاتهم ، إني أرغب اليكم قبل أن تتخذوا قراراً نهائياً ، وقبل أن تقفوا - وهذا ما أنا مضطر الى ان أقوله لسوء الحظ - من على شفير الهاوية ، إني أرغب اليكم بل أرجوكم أن تدعوا البحث بنضج في ذلك وأن تتيحوا للجميع أن يدلوا بأرائهم . دعوا العجلة جانباً ورددوا الأمر في ما أنتم قادمون عليه .

وأعود ثانية حتى أرغب الى أولئك الذين أعلم أنني قد أسأت اليهم ، أن يراجعوا حباً بالاسلام ، في جميع مناقشاتهم التي ستتلو بلا ريب في هذا الشأن وفي غيره الى أن يعتبروا الحقائق من ناحيتها التاريخية ومن ناحيتها الواقعية في عالمنا الحاضر اليوم .

انني أبتهل الى الله أن يستضيء شعب هذه الدولة بنور الحكمة الإلهية قبل أن يبتوا في هذا الأمر الخطير .

كلمة في التضمين

التضمين إشراب فعل وما في معنى الفعل معنى فعل آخر . بحيث يعمل عمله . ويتعدى تعديته : كفعل «عَزَمَ» في قوله تعالى «ولا تعزموا عقدة النكاح» ضمن معنى (لا تنووا) ومثله فعل «أَنِفَ» فإنه يتعدى بحرف الجر ، فيقال : أَنِفْتُ من كذا . فإذا ضُمَّناه معنى فعل «كَرِهَ» ، صحَّ لنا تعديته بنفسه ، ويقال اذ ذاك : (أَنِفْتُه) أي كرهته .

وهل التضمين قياسي ؟ نعم . كما يفهم من النصوص التي في كتب اللغة والأدب ، ونصوص طائفة من كبار أئمة اللغة العربية .

كما أن ابن جني في الخصائص قال ما نصه :

«وجدت في اللغة من فن التضمين شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به ، ولعله لو جُمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً ، فإذا مر بك شيء منه فتقبله وأنس به فإنه فصل من العربية لطيف» .

فأنت ترى أن ابن جني لم يصرح بقياسيته ، لكنه أوشك أن يصرح . ولعله لم يجزئ على التصريح بالقياسية لصعوبة أمر التضمين ، ووعورة طريق استعماله : بدليل وصفه له بأنه فصل لطيف .

وما قلناه في التضمين يقال في إنابة حرف جر عن حرف جر آخر من حيث أن أكثر أئمة اللغة العربية يقولون انه قياسي : لكثرة ما ورد من ذلك في القرآن والحديث وكلام الفصحاء . ومنه قوله تعالى «عيناً يشرب بها عباد الله» أي منها . لكننا معها قلنا بقياسية «التضمين» و «إنابة حرف عن حرف» فان مرجعها او عُمدهما توفر سلامة الذوق الفني اللغوي . ولذا كان من المتعسر ادخال «التضمين» و «نيابة حرف عن حرف» تحت قاعدة يحتملها المرء .

فليكتف بجمعنا بإعلان أن « التضمين » و « نيابة حرف جر عن حرف آخر » قياسيان بتحفظ كالنحفظ الذي قاله علماء العقائد في تعلم علم المنطق ، من أنه يجوز لمن كان :

(مارس السنة والكتاب ليبتدى به الى الصواب)

وكذا نقول هنا : ان « التضمين » و « نيابة حرف جر عن حرف آخر » ، قياسيان وجائزان لمن مارس البلاغة والكتابة عملاً لا نظراً . وفعللاً لا وهماً : فهو الذي يفقه أسرار المناسبات والقرائن والمقتضيات حسبما تقرر في علوم البلاغة . وهو الذي يعرف كيف يستفيد من قياسية (التضمين) و (نيابة حرف عن حرف) . وان لم يمارس بلاغة الكلام ربما حمله وهمه على ان يقول : (نزلت السطح) و (جلست الأرض) و (هربت السبع) .

المقربي

تصويبات

وقعت في الجزء الأول . والجزء الثاني من هذا المجلد السادس والعشرين غلطات يجب اصلاحها على الشكل الآتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠	١٦	خلية المثلثية	خلية اللثغمية
٣٠	١٧	تتألف المثلثية	تتألف اللثغمية
١٧٢	٧ و ٩	مُشْتَرَك ومَشْتَرَكات	مَشْتَرَك ومَشْتَرَكات
١٧٤	١	اللثغمية الفجوية	اللثغمية الفجوية

مصطفى الشهابي

فهرس الجزء الثالث من المجلد السادس والعشرين

صفحة

ذيل ثان الألفاظ السريانية في المعاجم العربية	٣٢١
أبو حنيفة الدينوري	٣٤٦
مصطلحات ابن خلدون	٣٧٠
موقع سوق عكاظ	٣٧٧
إقالة عشرة من عشرات الأعلام	٣٩٩
الموفي في النحو الكوفي (٨)	٤٠٧
الجزء الثاني من الكواكب الخائرة (٤)	٤٢٣

التعريف والنقد

في أصول النحو - الوسائل الى ماسرة	٤٣٣ - ٤٣٤
الأوائل - الميزبيون في حاضرهم واهلهم	٤٣٦
قاريخ سورية	٤٣٧
ولحي الأمومة	٤٤١
تزيينات عمر النهضة	٤٤٣
مصادر الدراسة الأدبية	٤٤٤
الجمعية الاقتصادية السنوية	٤٤٧

آراء وأبناء

استقبال عضو عامل جديد	٤٤٩
كلمة الأستاذ هفيق جبري	٤٤٩
كلمة الدكتور منير المجلاني	٤٥٨
خطاب آغا خان	٤٧٠
كلمة في التضمين	٤٧٦
تصويبات	٤٧٧

استدراك

يضاف الى فهرس الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين في أول

باب (آراء وأبناء) ما يلي :

انتخاب عضو مراسل	٣١٠
------------------	-----

مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي الحسين التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي الحسين التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٥ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٦ - تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٧ - المستجاد من فملات الأجواد للقاضي أبي علي الحسين التنوخي : بتحقيق
الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ - كتاب الأثرية لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - غوطة دمشق : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي .
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٢ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٣ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملة الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان الواواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدعان
- ١٥ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ١٦ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ١٧ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني .

- ١٨ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمعري (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ١٩ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين
- ٢٠ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الرهبي : بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد
- ٢١ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٢٢ - التبصر بالتجارة للمحافظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا
- ٢٣ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الأستاذ يوسف العثيمين
- ٢٤ - المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الرهبي
- ٢٥ - تكملة لإصلاح ما نغلط به العامة للجواليقي
- ٢٦ - بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لأبي الحنبلي الحلبي
- ٢٧ - الرسالة النباتية : للأ مير مصطفى الشهابي
- ٢٨ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٢٩ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ أبي عبد الله الزنجاني



تباع مطبوعات المجمع العلمي العربي
في المكتبة العربية لأصحابها عبيد اخوان بدمشق